الوفود المكية
وأثرها على الدعوة الإسلامية
دراسة تحليلية

إعداد الدكتورة
منال عوض محمد عوض سليمان
مدرس الحديث وعلومه
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

إن المتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد أنها سجل حافل بالتربية والتعليم، مليئة بالمواعظ والعبر والدروس التي توقظ الهمم ، وترسم المنهج السليم ، وتضع الأساس الصحيح أمام الدعاة حتى يؤدوا رسالتهم وفق منهج سليم يؤتي ثمره في كل حين بإذن ربه . كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[1] .

ودراسة سيرة الرسول ﷺ محببة إلى النفوس، فالمسلم يجد بغيته في سيرة الرسول ﷺ ، ينهل من معين صفائها ، والدعاة يجدون فيها الأنموذج الذي يتقيدون به ، فسيرة الرسول ﷺ مورد عذب كبير في مجال الدعوة ، حيث التنظيم السَّليم ، والتخطيط الدقيق ، والتنفيذ الصحيح .

فمتى ما تمسك الدعاة بهذا المنهج النبوي العظيم ، فإن دعوتهم سيكون لها الأثر الفعال _ بمشيئة الله تعالى _ في نفوس الناس ، ويكون لها القبول بإذن الله تعالى في الأرض، وهذا بحث في جزئيةٍ من سيرته ﷺ أرجو أن يكون لبنة متواضعة في صرح هذه السيرة العطرة ، وذلك للعناية بها ، وبثها في العالمين؛ لتكون نموذجًا يحتذى، وقدوة يقتدى بها في كل مناحي الحياة ، وسميته " **الوفود المكية وأثرها على الدعوة الإسلامية**" (دراسة تحليلية).

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١).

أهمية البحث وأسباب اختياره :

١ - لا يكاد مصدر قديم في السيرة أو مرجع حديث إلا ويأتي فيه ذكرٌ عن الوفود المكية وأحداثها قلّ هذا الحديث أو كثر، ومع أهمية هذه الأحداث وحاجة قارئ السيرة للإطلاع عليها ، فثمة أحداث أخرى في الوفود المكية في السيرة النبوية لا تكاد تبرزها المصادر، وهي حرية بالتتبع والاستقراء والاستنتاج، وثمة تساؤلات تتردد في ذهن القارئ وقد لا يجد لها إجابة مباشرة أو كافية في عدد من المصادر مع أهميتها.. وعسى أن تجيب عنها هذه الدراسة.

٢- إن التجاوز عن سرد الأحداث الظاهرة إلى بيان الأهداف والعبر المتوخاة منها من أعظم أهداف دراسة السيرة وما أجمل السيرة حين تدرس بوعي وواقعية فتصل الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة وفق منهج شرعي مؤصل.

٣ - أن السيرة النبوية ليست نصوصاً جامدة، أو حقبة زمنية وقعت وانتهت - كلا، وإنما هي معين لا ينضب ، يهتدي بمعالمها الثابتة المسلمون والدعاة ، ويستضيء بنور أحداثها الصحيحة السالكون، وتبقى أحداثها غضة طرية رغم اختلاف المكان وفارق الزمان، وهي من نواحي العظمة في سيرة محمد ﷺ، وشاهد على صلاحية رسالته لكل زمان ومكان.

وأرجو أن تسهم هذه الدراسة في التأكيد على فقه السيرة النبوية، وتحليل نصوصها بشكل يعمق دلالات الحدث ويوسع دائرة الاستفادة منه.

أما بالنسبة لأسباب اختياري لهذا البحث فهي:

أولاً : إن هذا الموضوع مهم جداً بالنسبة لذاته ولزمانه ، أما بالنسبة لذاته فهو متعلق بسيرة حبيبنا ونبينا محمد ﷺ .

وأما بالنسبة لزمانه فهو مثل ونموذج يهتدي به الدعاة في سلوك الطرق الجادة الإيجابية في الدعوة إلى الله .

ثانيا : الإسهام في خدمة سيرة الرسول ﷺ بحديث علمي يناسب تخصصي.

ثالثاً : الإسهام في تقديم دراسة دعوية تأصيلية في موضوع من أهم موضوعات السيرة ، حيث أنهما الركيزة في انطلاق الدعوة وانتشارها وبناء الدولة الإسلامية.

رابعاً: بيان منهج الرسول ﷺ في عرض دعوته ، والذي يعتمد على التخطيط والتنظيم السّليم ، ليتأسى به الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان .

خامساً: كثرة الدروس والفوائد الدعوية التي احتوتها الوفود.

سادساً :إن الوفود المكية بنتائجهما الإيجابية والسلبية مهدت السبيل أمام انتقال الدعوة إلى مكان آمن، متحرر من ضغوط الزعامة المكية، وأساليبها المقاومة للدعوة .

ولهذه الاعتبارات وغيرها ، تعدُّ الوفود المكية نقلة مهمة في تأريخ الدعوة ، والرسالة الإسلامية ، فأحببت إظهار هذا الموضوع ، وعزمتُ ، وتوكلتُ على الله تعالى في بحثه ، وأسأل الله أن يوفقني ويسددني ويلهمني الصواب في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الدراسات السابقة :

بما أنه ﷺ الرسول الخاتم ، فكان لزاماً أن تحفظ سيرته ﷺ ، ومناقبه كلها، لأنه المثل الأعلى للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولذا دوَّن المسلمون سيرته العطرة منذ عصر الصحابة، وكتبت فيها كتب لا تعد ولا تحصى .

وفي هذا العصر كتبت كتب كثيرة منها :

السيرة النبوية للعلامة محمد عزت دروزة ، والسيرة النبوية لأبي شهبة ، ومحمد رسول الله للصادق عرجون، والسيرة النبوية للندوي ، ودراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ، والسيرة النبوية للدكتور علي محمد الصلابي ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) لمؤلفه :مهدي رزق الله أحمد، الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي، لمؤلفه : علي بن رضوان الأسطل .

وكتب في فقهها الكثير ، من زاد المعاد ، إلى معين السيرة للشامي ، إلى فقه السيرة للغزالي والبوطي والسباعي ، بل كتبت كتب متخصصة في جانب من جوانب حياة الرسول ﷺ السياسية والتربوية والدعوية والأسرية والتشريعية والعسكرية ....

وذلك لأن السيرة النبوية زاد لا ينقطع ، ومعين لا ينضب ..

نتائج ما توصلت إليه من الكتابات السابقة :

يتضح مما ذكرته آنفاً، أن بعضاً من الكتابات السابقة اتسم بالسرد التاريخي كما في كتب السير، والبعض الآخر لم يتطرق لموضوع دراستي إلا في صفحات معدودة ، ومن هنا يتضح الفرق بين دراستي وبين هذه الكتابات ، من حيث أن دراستي تختص بالجانب الدعوي من خلال تحليل الوقائع واستنباط الدروس والفوائد التي يستفيد منها كل مسلم يدعو الناس إلى الإسلام .

تساؤل البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال رئيس وهو : ماالدروس الدعوية المستفادة من الوفود المكية ؟

منهج البحث:

١ - استخدمت في دراستي المنهج التاريخي ، حيث اعتمدت على الأحداث الماضية ، ومحاولة الربط بينها ، وتتبعت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وتتبعت مواقف النبي ﷺ في عرض الدعوة على القبائل، وأحداث الوفود المكية من أمهات الكتب .

كما استخدمت المنهج الاستنباطي ، حيث بذلت أقصى جهد من أجل استنباط الدروس والفوائد والعبر ، للاستفادة منها في شتى مجالات الحياة .

٢ - اعتمدت على المصادر الأصلية في كتابة هذا البحث ، ورجعت إلى الروايات المتقدمة عن الحدث مباشرة،وحاولت تصحيح الرواية من المصادر الأصلية قبل اعتمادها أو التعليق عليها، حتى إذا توسعت في مدلول الرواية، وفقهها أو استنتجت من وراء النص درساً وعبرة، كان الأساس الذي اعتمدته متيناً والمصدر الذي نقلت عنه مطمئناً.

وهذا المنهج النقدي للمرويات رغم أهميته إلا أنني لم أستطع تطبيقه على كل المرويات التي نقلتها، فأستأنس أحياناً بشهرة الرواية وتضافر كتب السيرة الأولى على ذكرها، وأتسامح أحياناً بالاستشهاد برواية لا تحل حراماً أو تحرم حلالاً، مستحضرتاً تسامح العلماء وتفريقهم في قبول رواية الراوي الضعيف في المغازي والتاريخ عنها في أمور الحلال والحرام.

٣ - بالرغم من اعتمادي كثيراً على المصادر الأولية، إلا أني لم أهمل الإستفادة من المصادر الناقلة عن المصادر الأصلية، فقد يكون لمؤلفيها ترجيح أو توضيح لا يُستغنى عنه، كما أنني لم أنقطع عن الإطلاع والاستفادة من عدد من الدراسات الحديثة التي سبق ذكرها .

تقسيمات البحث: إن البحث في هذه المسألة يستلزم تقديم دراسة بعض القضايا المرتبطة بها ، فلزم أولاً :

مقدمة: تشتمل على: أسباب دراسة البحث ، منهجية البحث،خطة الدراسة .

وتمهيد : يشتمل على :التعريف بمصطلحات الدراسة.

وقد اشتمل البحث على عدة مباحث وهي : -

المبحث الأول : مراتب الدعوة ومراحلها .

المطلب الأول : مرحلة الدعوة السرية وأوائل من دخل في الإسلام.

المطلب الثاني : بدء الدعوة الجهرية.

المبحث الثاني : وفود مكة الداخلية(الوفود القرشية):

المطلب الأول : وفد قريش الأول إلى أبي طالب.

المطلب الثاني: وفد قريش للتهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب.

المطلب الثالث: وفد قريش بعمارة بن الوليد .

المطلب الرابع: وفد قريش للرسولﷺ لعرض المغريات والمساومات.

المطلب الخامس: وفد المساومات لاقتسام العبادة والزعامة.

المطلب السادس : وفد التحدي والمجادلة.

المبحث الثالث : وفود مكة الخارجية:

المطلب الأول : وفد قريش من أحبار يهود بالمدينة بأسئلة تعجيزية.

المطلب الثاني : وفد الهجرة الأولى إلى الحبشة.

المطلب الثالث: سبب عودة المهاجرين إلى مكة ووفد الهجرة الثانية إلى الحبشة.

المطلب الرابع : وفد بني مخزوم إلى يثرب .

المبحث الرابع : وفود قادمة إلى مكة :

المطلب الأول :الوفد الأول لنصارى نجران.

المطلب الثاني : وفد قريش ومسلمي نجران.

المطلب الثالث : وفدا همدان.

المطلب الرابع: وفد قريش والطفيل الدوسي .

المطلب الخامس : قريش ووفود العرب:

المبحث الخامس: وفود يثرب الإعلامية.

المطلب الأول : عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل طلباً للنصرة .

المطلب الثاني: وفد بيعة العقبة الأولى .

المطلب الثالث: وفد بيعة العقبة الثانية.

المطلب الرابع : وفد بيعة العقبة الثالثة .

الخاتمة : وتتضمن :-

١ - ملخصاً عاماً للبحث، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

٢- ثبت المصادر والمراجع .

ورغم ما قدمته في هذه الدراسة من جهد، وما وصلت إليه من نتائج، فهو في سياق جهد البشر، وهو عرضة للخطأ والصواب، وما كان فيه من صواب فمن توفيق الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الباحثة

تمهيد

مصطلحات الدراسة :

معنى كلمة الوفد:

لقد وردت كلمة وفد في القرآن الكريم مرة واحدة قال تعالى :﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾[١].

وجمعت هنا بين الآيتين حتى يتضح المعنى الحقيقي للوفد وما له من مكانة وكرامة في الدنيا والآخرة .

قال ابن كثير[٢] رحمه الله :"(والوفد: هم القادمون ركباناً، ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، ...وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفاً إلى النار، { وِرْدًا } عطاشًا) [٣] .

وجاء هذا المعنى كذلك في تفسير أبي السعود[٤] .

وأما سيد قطب[٥] فصور الموقف بقوله : وفي مشهد من مشاهد

---

(١) [مريم آية: (٨٥) – (٨٦)] .

(٢) الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي ، ألف تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية وغيرها ، توفي سنة ٧٧٤هـ . (ينظر شذرات الذهب ٢٣٧/٦ ، والبدر الطالع ١٥٣/١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لا بن كثير ٥ / ٢٦٣ .

(٤) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ٤ / ٣٣٢ .

(٥) الكاتب المفكر الأديب سيد قطب ، ولد عام ١٩٠٦ م في إحدى قرى محافظة أسيوط بمصر ، من مؤلفاته في ظلال القرآن ، وخصائص التصور الإسلامي ، ومعالم على الطريق ، وغيره ، توفي سنة ١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ (ينظر : سيد قطب حياته وأدبه لعبد الباقي محمد حسين ، ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر – البحرين ص٥٤٧ – ٥٦٥) .

القيامة يصور عاقبة العد والحساب . فأما المؤمنون فقادمون على الرحمن وفداً في كرامة وحسن استقبال :﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ﴾ . وأما المجرمون فمسوقون إلى جهنم ورداً كما تساق القطعان . ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾[١] .

والوفود جمع وفد ، ووافد ، وهم عادة الذين يفدون إلى زعماء القوم في حاجة ، أو يوفدون في مهمة ، ومما يجب في حقهم التكرم وعدم إهانة من الجانب الآخر .

قال ابن سيده:" وَفَدَ فلان يَفِدُ وِفادةً إذا خرج إلى ملك أو أمير."[٢]

وفي لسان العرب:" وَفَدَ فلان على الأمير أي ورد رسولا، فهو وافِدٌ. وجمع الوَفْدِ أَوْفادٌ و وُفودٌ. والاسم الوِفَادَةُ بالكسر وأَوفَدتُه أنا إلى الأَميرأي: أَرْسَلْتُه." [٣]

والوفد: جمع الوافد، وجماعة مختارة للتقدم في اللقاء ذوي الشأن، جمعه : وفود ، وأوفاد) [٤].

ومما سبق نرى أن كلمة الوفود تشتمل الوفد والوافد ممن يكلف بحمل رسالة أو مهمة معينة ، وإذا كان فرداً وجب تعينه ، فيقال وفد فلان وأوفد فلان .

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ٥ / ١٠٨، ط . دار الشروق.

(٢) المخصص لأبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، ٣ / ١١٤، دارالفكر ، بيروت

(٣) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري٣ / ٤٦٤ ، دار صادر – بيروت ، وراجع مختار الصحاح ص ٧٣٠ الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،ط . دار المعارف المصرية

(٤) المعجم الوسيط ٢ / ١٠٥٨ ، مجمع اللغة العربية .

والإسم وافد للفرد الواحد ويقال للإثنين وفد تجوزاً .

وقد اخترت بحث الوفود، بما فيها الواحد الوافد والإثنين فأكثر، لأن الكل جمعه الوفود وهو عنوان البحث .

والمراد بالوفود في هذا البحث:الذين كانوا يفدون على رسول الله ﷺ، واعتنق بعضهم الإسلام كوفد نصارى نجران ، وأرجعهم ﷺ دعاة بين أقوامهم. وكذلك الذين كانو يوفدون من قبل النبي ﷺ داخل الجزيرة وخارجها ، لنشر الإسلام وإقامة الدين.

المكية: نسبة إلى مكَّةُ:

ومكة : بميم مفتوحة وكاف مفتوحة مشددة مفتوحة وآخرها هاء : المقصود به البلد الحرام ، قيل: سميت بذلك لقلة مائها، وذلك أنهم كانوا يَمْتَكُون الماء فيها أي يستخرجونه، وقيل: سميت مكة لأنها كانت تَمُكُّ من ظَلَمَ فيها وأَلْحَدَ أي تهلكه؛ وقيل: مكةُ الحَرَمُ كله، فأما بكَّةُ فهو ما بين الجبلين[1].

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ [2].

قال ابن جرير: يقول الله تعالى لرسوله ﷺ ، والذين بايعوا بيعة الرضوان:(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) يعني أن الله كفّ أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ ، بالحديبية يلتمسون غِرَّتَهُمْ ليصيبوا منهم، فبعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى، فخلى عنهم رسول الله ﷺ ومنّ عليهم ولم يقتلهم فقال الله تعالى للمؤمنين: وهو الذي كفّ أيدي

---

(١) لسان العرب ١٠ / ٤٩١

(٢) [الفتح آية: (٢٤)].

هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم[١].

وروى البخاري بسنده عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي،وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ[٢].

قال ياقوت[٣]:بكة الكعبة والمسجد،ومكة ذو طوى وهو بطن الوادي الذي ذكره الله تعالى في سورة الفتح ولها أسماء في ذلك وهي مكة وبكة والنساسة وأمُ رُحم وأم القرى ومعاد والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها وسمي البيت العتيق لانه عتق من الجبابرة والراس لأنها مثل رأس الإنسان والحرم وصلاَح والبلد الأمين والعرش والقادس لأنها تقدس من الذنوب أي تطهر والمقدسة والناسة والباسة بالباء الموحدة لأنها تبس أي تحطم

---

(١) تفسير ابن جرير ٢٢ / ٢٣٦ .

(٢) البخاري كتاب العلم ، باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب ١ / ٥١ ح١٠٤ ، ومسلم كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ٢ / ٩٥٧ ح ١٣٥٤

(٣) ياقوت الرومي الكاتب الحموي صنف معجم البلدان ومعجم الأدباء وأسماء الجبال والأنهار والأماكن توفي سنة ٦٢٦ هـ .[لسان الميزان ٦ / ٢٣٦ ت ٨٤٣] .

الملحدين وقيل تخرجهم وكُوثى باسم بقعة كانت منزل بني عبد الدار [١].

وسماها الله تعالى أم القرى فقال: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٢] ، وسماها الله تعالى البلد الأمين في قوله تعالى:﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ؛وَطُورِ سِينِينَ؛ وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ ؛ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ ﴾[٤] ، وقال تعالى: على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾[٥] ، وقال تعالى أيضا على لسان إبراهيم عليه السلام﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ﴾[٦] .

وقد كانت مكة فضلا عن كونها مولدا ، ومنشأ للرسول ﷺ وأصحابه ، مهوى الأفئدة، ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبها فيهم مجرى الروح والدم ، ولكن شيئا من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن ، ومفارقة الأهل والسكن حيث ضاقت الأرض على هذه الدعوة ، والعقيدة ، وتنكر أهلها لها .

وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة عاطفة الجنس الإنساني ، وعاطفة الحب الإيماني في كلمته ﷺ التي قالها مخاطبا لمكة [٧].

---

(١) معجم البلدان ياقوت الحموي ٥ / ١٨١ - ١٨٢ ، دار الفكر بيروت .

(٢) [الأنعام آية: (٩٢)].

(٣) [التين آية: (١)- (٣)].

(٤) [البلد آية: (١) - (٢)].

(٥) [إبراهيم آية: (٣٥)].

(٦) [إبراهيم آية: (٣٧)].

(٧) السيرة النبوية للعلامة المرحوم أبو الحسن الندوي، ص١٣ ط. دار عمر بن الخطاب ، نشر المكتبة العصرية.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: "مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ" (١).

وهذا خطاب من رسول الله ﷺ لمكة حين وادعها ، وذلك يوم فتح مكة (٢).

وهذا دليل على أن مكة خير أرض الله على الإطلاق ، وأحبها إلى رسول الله(٣)

هِيَ مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ ، وَهِيَ الْحَرَمُ الْآمِنُ ، وَأُمُّ الْقُرَى ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ ، وَمَبْعَثُ خَيْرِ الْبَشَرِ .ولأهمية مكة بالنسبة للمسلمين فإن تَارِيخَ مَكَّةَ يَمْلَأُ عَشَرَاتِ الْمُجَلَّدَاتِ ، مِثْلَ : أَخْبَارِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ ، وَتَارِيخِ مَكَّةَ لِلْفَاكِهِيِّ ، وَشِفَاءِ الْغَرَامِ لِلْفَاسِيِّ ، وَالْعِقْدِ الثَّمِينِ لَهُ أَيْضًا ، وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ، وَتَارِيخِ مَكَّةَ لِلسِّبَاعِيِّ ، وَعَشَرَاتِ الْكُتُبِ مَا زَالَتْ مَحْفُوظَةً فِي مَكْتَبَةِ الْحَرَمِ وَغَيْرِهَا (٤).

الدعوة في اللغة :

لها عدة معان ، منها النداء والطلب والتجمع ، يقال : دعا الرجلَ دعواً ودُعاءً : ناداه ، والاسم الدعوة .ودعوتُ فلاناً أي صحت به واستدعيته . وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا(٥).

---

(١) الترمذي في كتاب : المناقب ، باب : فضل مكة ٤٨٧/٥ ح٣٩٥٢ ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ولكن غريب من هذا الوجه ، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي ٢٠٩/١٠ ، وموارد الظمآن لزوائد ابن حبان ٢٩٣/١ ح١٠٢٦.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٩٥/١٠.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٩٨/٥.

(٤) معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٥) لسان العرب ، مادة دعا ، ج ١٤ ص ٢٥٨ـ٢٥٩ .

الدعوة في الاصطلاح :

عرفت بتعريفات عدة منها : هي (العلم الذي بـه تعـرف كافـة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حـوى مـن عقيدة وشريعة وأخلاق)[١] ومنها : (جمع الناس على الخير ودلا لتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر)[٢] .

ومنها: (حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل) [٣].

ومنها: (تبليغ الإسلام ،وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحيـاة) [٤] وأنسبها لهذا البحث أن الدعوة إلى الله (هي الدعوة إلى الإيمان بـه وبمـا جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ،وطاعتهم فيما أمروا به والإهتداء بهم في كيفية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة والصبر والثبات ،وذلـك يتضمن الدعوة إلـى الشـهادتين وإقـام الصـلاة ،إيتـاء الزكاة،وصـوم رمضـان،وحج البيت،والـدعوة إلـى الإيمـان بـالله ، وملائكتـه ،وكتبه،ورسله،والبعث بعد الموت،والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه) [٥] .

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ،د/ أحمد غلـوش ص ١٠ ، ط، ٢ـ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، دار الكتاب المصري ، القاهرة.

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة د/ محمد السيد الوكيل ص ٩ ،ط، ٣ ـ ١٤١٢هـ١٩٩١م ، دار الوفاء، مصر.

(٣) هداية المرشدين الشيخ/ على محفوظ ،ص ١٧، ط، ٩ـ١٣٩٩هـ١٩٧٩م ،دار الاعتصام.

(٤) المـدخل إلـى علـم الـدعوة د/ محمـد أبـو الفـتح البيـانوني ص ١٧،ط،٢ـ ١٤١٤هـ١٩٩٣م،مؤسسة الرسالة ،بيروت.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ،عبد الرحمن بـن قاسـم، ج١٥ص١٥٧-١٥٨ط إدارة المساحة العسكرية القاهرة ١٤٠٤ه.

المبحث الأول
مراتب الدعوة ومراحلها

ذكر ابن القيم [١] خمس مراتب:-

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى : النُّبُوَّةُ .

الثَّانِيَةُ: إِنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ .

الثَّالِثَةُ: إِنْذَارُ قَوْمِهِ .

الرَّابِعَةُ: إِنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمْ الْعَرَبُ قَاطِبَةً .

الْخَامِسَةُ: إِنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . [٢] .

مراحل الدعوة خلال حياة الرسول[٣] ﷺ :

المرحلة الأولى :الدعوة سراً ، واستمرت ثلاث سنين.

المرحلة الثانية : الدعوة جهراً والكف عن القتال. واستمرت إلى الهجرة .

المرحلة الثالثة : الدعوة جهراً مع قتال المبتدئين بالقتال ، واستمرت إلى صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة : الدعوة جهراً مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة .

---

(١) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي المشهور بابن القيم الجوزية ، صنف أعلام الموقعين ، والصواعق المرسلة ، وإغاثة اللهفان وزاد المعاد وغيرها و توفي سنة ٧٥١هـ (ينظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٤٤٧/٢ ، وشذرات الذهب ١٦٨/٦) .

(٢) زاد المعاد ١ / ٨٦

(٣) انظر فقه السيرة البوطي : ص ٥٧ ، والمباركفوري : الرحيق المختوم ص ٨٤ .

وقفة عند فقه هذه المراحل :

ربما يتبادر سؤال إلى الذهن، وهو :

هل يجب على دعاة قيام الدولة الإسلامية – خاصة في العصر الحديث – التقيد بهذه المراحل بمداها الزمني كما وقعت للرسول ﷺ ؟

والجواب عن هذا السؤال هو: أنه ليس عليهم التقيد بهذه المراحل[١] ولا بالمدى الزمني الذي مرت به في حياة الرسول ﷺ .

وذلك لأن المدى الزمني لتلك المراحل تقدير رباني وليس جهداً بشرياً فقط[٢] فالتقيد بهذه المراحل لا يتمشى مع مرونة الإسلام في معالجة الأمور وكواجهة الأحداث.

والسيرة النبوية التي تمثل حركة الإسلام تفتخ أمام الدعاة نماذج للخيارات المتعددة التي يقدمها المنهج الإسلامي بحركته الفذة الفريدة ... وما السرية أو طلب النصرة أو الهجرة إلا وسائل اتخذها رسول الله ﷺ لنشر دعوته ضمن ظروف ومواصفات معينة ... فمثلاً نجد في زماننا هذا الدول الغربية الديمقراطية لا تحجر أي نشاط لرجال الأديان المختلفة ، فلا ضرورة هنا للتقيد بمرحلة السرية في الدعوة بينما نجد الدول الشيوعية لا تسمح للمسلم بممارسة أي نشاط دعوي أو سياسي ، فيضطر أن يستخفي بدينه حتى يتمكن ، وهنا تصبح السرية ضرورة اقتضتها ظروف معينة . واذا اقتضت حكمة الدعوة أن يكون هناك عمل سري وآخر علني فلا بأس ، وذلك في مثل البلاد التي تسمح بنشاط المسلمين في حدود ضيقة جداً .

---

(١) انظر زهير سالم عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٢٩ ، وما بعدها.

(٢) انظر المنهج الحركي للسيرة النبوية الدكتور منير الغضبان ص٩

وخلاصة القول : إن السرية تقدر بقدرها[١]، فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية ، في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة - من حيث التكتم و الجهر أو اللين و القوة - حسبما تقتضيه الظروف وحال العصر الذى يعيشون فيه وهى مرونة حددتها الشريعة الإسلامية ، إعتماداً على واقع سيرته صلى الله عليه وسلم ' ضمن الأشكال و المراحل الأربعة التى سبق ذكرها، على أن يكون النظر في كل ذلك إلى المصلحة للمسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية .

المطلب الأول : مرحلة الدعوة السرية وأوائل من دخل في الإسلام:

بدأ النبى ﷺ يستجيب لأمر الله ، فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام ، ولكنه كان يدعو الى ذلك سراً حذراً من وقع المفاجأة على قريش التى كانت متعصبة لشركها ووثنيتها ، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يظهر الدعوة فى المجالس العمومية لقريش ، ولم يكن يدعو إلاّ من كانت تشده إليه صلة قرابة أو معرفة سابقة[٢].

أوائل من دخل الإسلام :

كان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ أولاً الإسلام على ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه، وهؤلاء لم تخالجهم ريبة قط في عظمة

---

(١) انظر زهير سالم عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٢٨ - ٣٥ وهو يناقش الدكتور الغضبان في قوله بإلزامية المرحلة السرية ، ويبدو أن الغضبان قد انصب كلامه على بعض الأنظمة الاستبدادية وفاته ما هو واقع في كثير من البلاد الغربية ، ولذا لم يوفق عندما عمم القاعدة ، وانظر الدكتورالبوطي : فقه السيرة ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطى ص ٧٢.

محمد عليه الصلاة والسلام، وجلال نفسه وصدق خبره، فلا جرم أنهم السابقون إلى مؤازرته واتباعه[١].

١ - ومن هؤلاء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها زوج النبي ﷺ حيث يدل حديث بدىء الوحي على أن خديجة رضى الله عنها كانت أول من عرف خبر النبوة ونزول الوحى ، وأنها صدقت الرسول وآزرته وثبتته وخففت عنه .

فلا غرابة أن تكون أول من آمن كما يقول الزهرى وابن اسحاق[٢].

٢ - علُى بن أبى طالب ﷺ وقد أسلم بعد خديجه في هذا الوقت المبكر ،فقد كان فى حجر النبي ﷺ قبل الإسلام معونة من رسول الله ﷺ لأبى طالب وردًا لجميله ، فقد كان قليل المال كثير العيال - فكان أول الذكور إسلاما[٣]·وكان عُمر علىٍّ ﷺ حين المبعث عشر سنين[٤] .

٣ - أبو بكر ﷺ ، فقد استنبط **ابن كثير** رحمه الله من حديث صحيح: أنه أول من أسلم وفيه " **إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ،. وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله " إنه أول الناس إسلاماً**[٥]·

وقد أسلم أهل بيت أبي بكر بإسلامه ، قالت عائشة رضي الله عنها:

---

(١) انظر فقه السيرة للغزالي ص ٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٢٢٤.

(٣) سنن الترمذي : الجامع ٥ / ٦٤٢ بإسناد صحيح والحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٦ وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) فتح الباري ٧ / ١٧٤.

(٥) البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا قاله أبو سعيد فتح الباري ٧ / ١٨ ح ٣٤٦١ وراجع السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٤٣٤.

لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ "[١] .

٤ - زيد بن حارثة مولى رسول الله[٢] ﷺ- ونظراً لأقوال الزهـري في أول من أسلم خديجة ، فلعله عني أن زيداً أول من أسلم من الرجال[٣].

٥- سعد بن أبي وقاص [٤] وقد نزل القرآن في خبر أسـلامه كمـا أخبر عن نفسه قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِـهِ وَلاَ تَأْكُلَ، وَلاَ تَشْرَبَ، قَالَتْ زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنٌ لَهَـا يُقَـالُ لَـهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا ،فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الآيَةَ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنـتُمْ تَعْمَلُـونَ﴾[٥] ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي﴾وفيها﴿ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَـاحِبْهُمَا فِـي الـدُّنْيَا مَعْرُوفًـا﴾[٦] قَالَ فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَـا بِعَصًـا ثُـمَّ أَوْجَرُوهَا[٧] [٨]

---

(١) صحيح البخاري كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده فتح الباري ٤ / ٤٧٥ ح ٢١٧٥.

(٢) عبد الرزاق : المصنف ٥ / ٣٢٥.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢ / ٣١٦.

(٤) فتح الباري ١٠ / ٤٠٠ وراجع فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ / ٧٤٩

(٥) [العنكبوت آية: ٨].

(٦) [لقمان آية: ١٥].

(٧) قوله :" شجروا فاها بعصا ثم أوجروها " أي: فتحوه ثم صبوا فيها الطعام وانما شجروها بالعصا لئلا تطبقه فيمتنع وصول الطعام جوفها [شرح النووي على صـحيح مسـلم ١٥ / ١٨٧].

(٨) مسلم كتاب : فضائل الصحابة ، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ ح ١٧٨٤.

والحادثة تدل على : صلابة موقف المؤمنين الأوائل أمام الفتن المتنوعة التي تعرضوا لها ، كما تدل على أنماط المواجهة التي تجمع بين التأثير العاطفي والضغط النفسي حيناً وبين استخدام القهر والقوة أحياناً أخرى[١] .

٦ - عثمان ابن عفان ،والزبير ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف،وممن بكر في الدخول إلى الإسلام خالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن مسعود حيث حكى خبر إسلامه **قَالَ:كُنْتُ غُلاَمًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ وَقَدْ فَرًّا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالاَ: يَا غُلاَمُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا؟ قُلْتُ :إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، وَلَسْتُ سَاقِيكُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُلْ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ ،ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ :لِلضَّرْعِ اقْلِصْ فَقَلَصَ فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ :عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ: إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لاَ يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ**[٢] .

٧ - وثبت أن ورقة بن نوفل كان من المسلمين الأوائل ، وذلك بدليل قول عَائِشَةَ رضي الله عنها **أَنَّ خَدِيجَةَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَقَالَ:" قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ فَأَحْسِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ"**[٣] .

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص ١٣٦.

(٢) أحمد في المسند ٣٧٩/١ح ٣٥٩٨ وإسناده حسن وكذلك حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧

(٣) رواه احمد في المسند ٤٩ / ٣٨٧ ح ٢٣٢٣١ ، وحسن الساعاتي إسناده في الفتح الرباني ٢٠ / ١٧٤

٨ - وقد ثبت أن عمار بن ياسر أسلم مبكراً فقد قال عن نفسه : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ[١] .

قال ابن حجر[٢] : أَمَّا الأَعْبُد فَهُمْ بِلاَل وَزَيْد بْن حَارِثَة وَعَامِر بْن فُهَيْرَة مَوْلَى أَبِي بَكْر ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ قَدِيمًا مَعَ أَبِي بَكْر، وَأَبُو فُكَيْهَة مَوْلَى صَفْوَان بْن أُمَيَّة بْن خَلَف، ذَكَرَ ابْن إِسْحَاق أَنَّهُ أَسْلَمَ حِين أَسْلَمَ بِلاَل فَعَذَّبَهُ أُمَيَّة فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْر فَأَعْتَقَهُ.

وَأَمَّا الْخَامِس فَيَحْتَمِل أَنْ يُفَسَّر بِشُقْرَان ، وَأَمَّا الْمَرْأَتَانِ فَخَدِيجَة وَالأُخْرَى أُمّ أَيْمَن أَوْ سُمَيَّة [٣] .

وكان عمرو بن عبسة السلمي يرى أنه رابع أربعة هم أول المسلمين.

قال: فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام[٤].

ويبدو أن رسول الله ﷺ لم يخبر بأسماء سائر من أسلم وإنما سمى أبا بكر وبلال فقط حرصاً على سلامة من أسلم من الأذى ، وربما لأنه إنما أسلم بعد إجابة سؤاله عمن أسلم يومئذ ، وتعبير عمرو بن عبسة ، **فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام**" إنما هو بحسب ما بدا له.

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا (فتح الباري) ٧ / ١٨ ح ٤٦٠

(٢) الحافظ العلامة أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المصري الشافعي ، صاحب فتح الباري ، شرح صحيح البخاري والإصابة في معرفة الصحابة ، ولسان الميزان وغيرها توفي سنة٨٥٢هـ . (ينظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٣٦/٢، وشذرات الذهب لابن العماد ح٢٨٠/٧) .

(٣) فتح الباري ٧ / ١٨٠

(٤) مسند أحمد ٤/ ١١٢ وطبقات بن سعد ٤/ ٢١٥ ومستدرك الحاكم وصحح إسناده ٣/ ٦٥.

وإلا فقد كان عدد المسلمين أكثر من ذلك في المرحلة التي أظهرت فيها قريش جرأتها على الإسلام وأذاها للمسلمين كما يدل قول الرسول ﷺ لعمرو بن عبسة حين قال له عمرو :" إِنِّي مُتَّبِعُكَ ،قَالَ ﷺ لعمرو:إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي!!... [١].

قال النووي[٢] رحمه الله ومعناه: قلت له: إني متبعك على اظهار الإسلام هنا واقامتي معك فقال: لا تستطيع ذلك لضعف شوكة المسلمين ونخاف عليك من أذى كفار قريش ولكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وارجع إلى قومك واستمر على الإسلام في موضعك حتى تعلمني ظهرت فأتني وفيه معجزة للنبوة وهي إعلامه بأنه سيظهر قوله" [٣].

فكان هؤلاء يلتقون بالنبي ﷺ سراً وكان أحدهم إذا أراد ممارسة عبادة من العبادات ذهب إلى شعاب مكة يستخفى فيها عن أنظار قريش .

ثم لما أربى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين – ما بين رجل وامرأة – اختار لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أحدهم ، وهو الأرقم ابن أبى الأرقم ، ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد و التعليم ، وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب الأربعين رجلا وامرأة دخلوا فى الإسلام. [٤]

وهكذا مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، ولم يجهر بها النبي صلى الله عليه وسلم في المجامع والنوادى،إلا أنها عرفت لدى قريش، وفشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، وقد تنكر له

---

(١) مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة١ / ٥٩٦ ح ٨٣٢ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦ /١١٨ .

(٣) راجع السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص ١٣٩.

(٤) فقه السيرة للغزالي ص ٦٩.

بعضهم أحياناً، واعتدوا على بعض المؤمنين، إلا أنهم لم يهتموا به كثيـــراً حيث لم يتعرض رسول الله ﷺ لدينهم، ولم يتكلم في آلهتهم.[١] .

الدروس والعبر و العظات في هذا المقطع :

وجه السرية في بدء دعوة الرسول ﷺ خلال هذه السنوات الأولى لم يكن بسبب الخوف على نفسه ولكن الله عز وجـــل ألهـــم رســـوله ﷺ – والإلهام للرسول نوع من الوحى – أن يبدأ الدعوة فى فترتهـــا الأولـــى ، بسرية وتكتم ، وأن لا يلقى بها إلا من يغلب على ظنه أنه سيصـــيخ لهـــا ويؤمن بها ، تعليماً للدعاة من بعده ، وإرشاداً لهم إلى مشـــروعية الأخـــذ بالحيطة و الأسباب الظاهرة ، وما يقرره التفكير و العقل السليم من الوسائل التى ينبغى أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها، على أن لا يتغلب كل ذلك على الإعتماد و الإتكال على الله وحده وعلى ألا يذهب الإنسان فى التمسك بهذه الأسباب مذهباً يعطيها معنى التأثير و الفعالية فى تصوره وتفكيره ، فهذا يخدش أصل الإيمان بالله تعالى، فضلا عـــن أنـــه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام .

ومن هنا ندرك :أن أسلوب دعوته عليه الصلاة و السلام فـــي هـــذه الفترة كان من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إمامـــاً ، ولـــيس مـــن أعماله التبليغية عن الله تعالى بوصف كونه نبياً [٢].

من أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب عليهم الظن أنهم سيقتلون من غير أي نكاية فى أعدائهم إذا ما أجمعوا قتالهم ، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفـــظ

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٦٩

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطي ص ٧٦- وانظر السيرة النبوية دروس وعبرص١١١.

النفس ، لأن المصلحة المقابلة وهى مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع [١].

ويقول الدكتور البوطي[٢] في تعليقة على هذا القول:" إنه من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد فإنها في الواقع مصلحة دين ، إذ المصلحة الدينية تقتضي – في مثل هذا الحال – أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى، وإلا فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين ذاته ، وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل ٠

وهو بهذا يعني أن عدم القتال تقديم لمصلحة الدين المتبقية على مصلحة الدين المرجوحة .

والخلاصة :أنه يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر بالقتال يضر بها ، ولا يجوز الإسرار بالدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك منقيداً ، ولا يجوز المسالمة مع الظالمين المتربصين بها إذا توافرت أسباب القوة والدفاع عنها ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دارهم إذا توافرت وسائل ذلك وأسبابه ٠

و يتضح من سجل أسماء الأوائل الذين دخلوا في الإسلام في هذه المرحلة أنهم كانوا من خيرة أقوامهم ولم يكونوا كما يذكر بعض الكتاب المسلمين وغيرهم أنه كان معظمهم خليطا من الفقراء و الضعفاء و الأرقاء الذين أرادوا استعادة حريتهم وكرامتهم ٠

---

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصلحة الأنام ١ /١١١ – ١١٢ ، وضوابط المصلحة في الشريعة الأسلامية للدكتور البوطي ص ٢٦١ ، فقه السيرة للبوطي ص ٧٧.

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطي ص ٧٧.

والقول السديد في هذا هو أن الذين تحملوا القسط الأكبر من التعذيب هم الأرقاء والموالي ، وكانت فتنتهم على ملأ من الناس ، ولذا انتشر أمرهم ، بينما امتنع الآخرون بأقوامهم ، ومن عذب منهم عذب ضمن قبيلته ولذا لم ينتشر أمرهم ، ولم يذكروا كثيراً [١] .

وفي هذه المعاني رويت عدة أحاديث منها ما رواه أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود: **أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلاَلٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ** ... الحديث[٢].

وهناك حكمة جليلة تظهر بوضوح من الذين دخلوا في الإسلام في هذه المرحلة كان معظمهم خليطاً من الفقراء و الضعفاء و الأرقاء فما الحكمة من ذلك ؟ وما السر فى أن تأسس الدولة الإسلامية على أركان مثل هؤلاء الناس ؟ .

والجواب :أن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء فى فترتها الأولى ، ألم تر إلى قوم نوح كيف كانوا يعيرونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أراذل الناس ودهمائهم : ﴿ **مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾[٣]

والى فرعون وشيعته كيف كانوا يرون أتباع موسى أذلاء مستضعفين ، حتى قال الله عنهم بعد أن تحدث عن هلاك فرعون و أشياعه : ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ**

---

(١) انظر : الشامي : من معين السيرة ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢) ابن ماجة في السنن المقدمة باب فضائل الصحابة فضل سلمان وأبي ذر والمقداد ١ / ٥٣ ح ١٥٠ ،و مسند أحمد ١ / ٤٠٤ ح ٣٨٣٢بإسناد حسن.

(٣) [هود آية: (٢٧)].

الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (١) .

وإلى ثمود الذين أرسل الله إليهم صالحاً ، كيف تولى عنه الزعماء المستكبرون ، وآمن به الناس المستضعفون ، حتى قال الله فى ذلك : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

والسر فى ذلك: أن حقيقة هذا الدين الذى بعث الله به عامة أنبيائه ورسله إنما هى الخروج عن سلطان الناس وحكمهم الى سلطان الله وحكمه وحده ، وهى حقيقة تخدش أول ما تخدش ألوهية المتألهين وحاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين ، وتناسب أول ما تناسب حالة المستضعفين و المستذلين و المستعبدين . فيكون رد الفعل أمام الدعوة الى الإسلام لله وحده وهو المكابرة و العناد من أولئك المتألهين و المتحكمين، والإذعان والإستجابة من هؤلاء المستضعفين .

ومن هنا نعلم عظم الفرية التى يفتريها بعض محترفى الغزو الفكرى فى هذا العصر، حينما يزعمون بأن الدعوة التى قام بها محمد صلى الله عليه وسلم إنما هى من وحى بيئته العربية نفسها ، وأنها إنما كانت تمثل حركة الفكر العربى إذ ذاك . فلو كان ذلك كذلك ، لما كان رصيد هذه الدعوة خلال ثلاث سنوات من بدايتها أربعون رجلا وامرأة ، عامتهم من الفقراء و المستضعفين والموالى و الأرقاء ،وفى مقدمتهم أخلاط من مختلفى الأعاجم : صهيب الرومى وبلال الحبشى. (٣)

---

(١) [الأعراف آية: (١٣٧)].

(٢) [الأعراف آية:(٧٥)] .

(٣) فقه السيرة النبوية للبوطي ص ٦٨ - ٧٠ والسيرة النبوية دروس وعبرص١١١.

المطلب الثاني : بدء الدعوة الجهرية:

بعد الإعداد العظيم الذي قام به النبي - صلى الله عليه وسلم- في المرحلة السرية للدعوة لتربية أصحابه وبناء الجماعة المسلمة المنظمة الأولى على أسس عقدية وتعبدية وخلقية رفيعة المستوى حان موعد إعلان الدعوة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمّ دَخَلَ النّاسُ فِي الإِسْلاَمِ أَرْسَالاً مِنْ الرّجَالِ وَالنّسَاءِ حَتّى فَشَا ذِكْرُ الإِسْلاَمِ بِمَكّةَ وَتُحُدّثَ بِهِ .

ثُمّ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ وَأَنْ يُبَادِيَ النّاسَ بِأَمْرِهِ وَأَنْ يَدْعُوَ إلَيْهِ وَكَانَ بَيْنَ مَا أَخْفَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَمْرَهُ وَاسْتَتَرَ بِهِ إلَى أَنْ أَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِ دِينِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ - فِيمَا بَلَغَنِي - مِنْ مَبْعَثِهِ ثُمّ قَالَ اللّهُ تَعَالَى لَهُ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1]وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾[3] [4] .

وحينئذ بدأ رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه ،فاستجاب لقوله تعالى ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ بأن صعد إلى جبل الصفا فجعل ينادى .

وقد بينت رواية البخاري ذلك عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّفَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ

---

(١) [الحجر آية: (٩٤)].

(٢) [الشعراء آية: (٢١٤) - (٢١٥)].

(٣) [الحجر آية: (٨٩)].

(٤) زاد المعاد ١ / ٨٦ .

إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا مَا لَكَ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي قَالُوا: بَلَى قَالَ:فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ :تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾[1] .

ثم نزل الرسول ﷺ فاستجاب لقوله تعالى﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ بأن جمع من حوله ، ذويه وأهل قرابته وعشيرته .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا[2] [3] .

قال النووي رحمه الله :ومعنى الحديث سأصلها شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة ،ومنه بلوا أرحامكم أى صلوها[4].

كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت

---

(١) البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله إن هو إلا نذير١٤/ ٢٢٤ ح ٤٤٢٧.

(٢) سأبُلُّها بِبلاَلِها: أي اصلكم في الدنيا ولا أغْني عنكم من الله شيئاً . والبلاَل جمع بَلَل . وقيل هو كلُّ ما بَلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره.(النهاية في غريب الحديث ١/ ١٥٣)

(٣) مسلم كتاب الإيمان ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ١ / ٢٥ ح ٣٠٣.

(٤) النووي على شرح صحيح مسلم، ٣ / ٨٠ .

في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله.[١] ،

فكان من الطبيعي أن يبدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين، إذ أن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته، كما أن القيام بالدعوة في مكة لا بد أن يكون له أثر خاص لما لهذا البلد من مركز ديني خطير، فجلبها إلى حظيرة الإسلام لا بد أن يكون له وقع كبير على بقية القبائل، على أن هذا لا يعنى أن رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودة بقريش، لأن الإسلام كما يتجلى من القرآن اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية.[٢].

موقف قريش أمام جهره صلى الله عليه وسلم بالدعوة:

ولقد كانت النتيجة المباشرة لهذا الصدع هي الصد والإعراض والسخرية والإيذاء والتكذيب، والكيد المدبر المدروس، ولقد اشتد الصراع بين النبي ﷺ وأصحابه، وبين شيوخ الوثنية وزعمائها، وأصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في كل مكان.

وهذا في حد ذاته مكسب عظيم للدعوة، ساهم فيه أشد وألد أعدائها، ممن كانوا يشيعون في القبائل قالة السوء عنها، فليس كل الناس يُسَلِّمون بدعاوى القرشيين، بل كان يوجد من مختلف القبائل من يتابع الأخبار، ويتحرى الصواب فيظفر به.

لقد كان أولى الناس بتوجيه الدعوة إليهم: قريش وأهل مكة وبالأخص عشيرة النبي ﷺ الأقربين فوجه إليهم الدعوة من خلال هذا المنبر العلني،

---

(١) فقه السيرة للغزالي ، ص ١٠١.

(٢) دراسة في السيرة النبوية، د. عماد الدين خليل ص١٢٤، ١٢٥.

وأنذرهم عذاب الله وبأسه إن لم يؤمنوا [١].

ولكن قريشًا رفضت الاستجابة والانقياد للحق المبين، وكان موقفهم كموقف الأقوام السابقة من رسلهم، فحاربوا الدعوة الجديدة التي عرت واقعهم الجاهلي وعابت آلهتهم وسفهت أحلامهم، أي آراءهم وأفكارهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان والكون، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها.

الدروس والعبر و العظات :

في هذا المقطع من سيرته عليه الصلاة و السلام دلالات ثلاث نجملها فيما يلى :

أولا : أن رسول الله ﷺحينما صدع بالدعوة الى الإسلام فى قريش وعامة العرب فاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه أو يألفونه ، تجد ذلك واضحا فى رد أبى لهب عليه ، ثم فى إتفاق معظم المشركين من زعماء قريش على معاداته و مقاومته ، وفى ذلك الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بشرعته و أحكامه ثمرة من ثمار القومية ، ويدعون أن محمداًﷺ إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها آمال العرب ومطامحهم فى ذلك الحين وهذا إنكار واضح لنبوة الرسول وخفض عظيم لرسالة الإسلام[٢].

ثانيا : إن في تباطؤ الناس عن الدخول في الإسلام لدليلاً على مدى قوة وتغلغل العادات والتقاليد في المجتمعات التي تعيش ردحا من الزمان في الجاهلية وفساد الفطرة ، وهو وضع بواجه الدعاة في كثير من المجتمعات قديماً وحديثاً ، حتى المجتمعات الإسلامية ، عندما يخبو فيها صوت الدعوة المهتدية بسنة الرسول ﷺ تجد أثراً كبيراً للعادات والتقاليد

---

(١) انظر : الغرباء الأولون ص ١٦٧، سلمان العودة.

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر مصطفى السباعي ص ٥٤ .

فيتسير حركة المجتمع في المجالات المختلفة ، وتجد دليل استنكارًا ممن وقعوا في أسر هذه العادات والتقاليد لصوت العقل المهتد بسنة الرسول ﷺ والسلف الصالح في فهم الإسلام .

ثالثا : إن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة ' إشارة إلى درجات المسؤلية التي تتعلق بكل مسلم عموما والدعاة منهم خصوصاً،فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحمل المسؤولية تجاه نفسه بوصف كونه مكلفاً ، وكان يتحمل المسئولية تجاه أسرته و أهله بوصف كونه رب أسرة وذا آصرة(أي رابطة نسب) وقربى ، ثم كان يتحمل المسئولية تجاه الناس كلهم بوصف كونه نبياً ورسولاً مرسلاً من الله ﷻ.

ويشترك مع النبى ﷺ فى الأولى كل مكلف، وفى الثانية كل صاحب أسرة، وفى الثالثة العلماء و الحكام وكل منهما ينوبان فى ذلك منابه الرسول ﷺ إذ هما الوارثان الشرعيان له لقوله عليه الصلاة و السلام: **العلماء ورثة الأنبياء**[1]، ولتسمية الإمام والحاكم خليفة ، أى خليفة لرسول الله ﷺ. على أن العلم و الدراية من لوازم الإمام والحاكم فى المجتمع الإسلامى، فليس من خلاف بين طبيعة المسئولية المنوطة برسول الله ﷺ والمنوطة بالعلماء والحكام فى الإتساع والشمول إلا أن الرسول كما قلنا يبلغ شرعا جديداً يوحى إليه من الله ﷻ، أما هؤلاء فيمشون على قدمه ويهتدون بهديه ويلتزمون سنته وسيرته فيما يفعلون ويبلغون [2].

---

(١) الترمذى كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة ، عن أبى الدرداء ح ٢٦٠٦ وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح .

(٢) راجع فقه السيرة للدكتور البوطي ص ٦٩ ، والسيرة النبوية دروس وعبر مصطفى السباعي ص ٤.

المبحث الثاني
وفود مكة الداخلية (الوفود القرشية)

توطئة:

لاشك أن الإستجابة للأمر الإلهي بإعلان الدعوة اقتضى من المسلمين مواجهة المشركين بحقائق التوحيد وبفساد الشرك ، مما جعل المشركين يلحقون الأذى بالرسول ﷺ وأصحابه فضلاً عن المعتقدات الباطلة التي عششت بعقولهم وتوارثوها خلفاً عن سلف فإنهم كانوا مدركين لجدواها في تحقيق مصالحهم الإجتماعبة والإقتصادية عندما تؤم القبائل العربية مكة حيث الأصنام الكثيرة المحيطة بالكعبة وينجم عن ذلك حركة بيع وشراء تحقق الأرباح الوفيرة لسادة مكة .

واتخذ الأذى صوراً من السب العلني والضرر المادي ، ولكن الرسول ﷺ واجه كل هذا بثبات وصبر، وأمر أصحابه بضبط النفس والتحلي بالصبر، وعدم مقارعة القوة بالقوة ، والعدوان بالعدوان، حرصاً على حياتهم ونظراً لمستقبل الدعوة ، وإمساكاً بزمام الدعوة الوليدة أن يئدها الشر وهي لا تزال غضة طرية ، ولعل المشركين كانوا يحصرون على مواجهة حاسمة مع الدعوة تنهي أمرها، لكن الحكمة الإسلامية فوتت عليهم الفرصة هنا لجأت قريش إلى المفاوضات فأرسلت الوفود بقصد إيقاف النبي ﷺ عن دعوته ، فلجأت في البداية إلى غير ما لجأت إليه في النهاية ، فلم يغنيهم ذلك شيئاً ، ورد كيد قريش إلى نحرها واستمرت رسالة الإسلام تمخر عباب الكفر والعناد ، بكل صبر وصدق وروية وثبات .

المطلب الأول: وفد قريش الأول إلى أبي طالب :

عندما رأت قريش أن أثر هذه الدعوة كما كان الحال مع من دعا إلى نبذ الأصنام قبل محمد ﷺ ، أمثال زيد بن نفيل، وورقة ، وابن صيفي ، قامت في وجه محمد ﷺ ومن تبعه ، وأخذت تمارس شتى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب ، لصدّهم عن هذا الطريق الذي هدد مصالحهم ، وقد كان أكثر هؤلاء من أصحاب النفوذ والمصالح .

ومن أبرز تلك الأساليب :وفد قريش الأول إلى أبي طالب.

كان أول أسلوب لجأوا إليه محاولة التأثير على عمه أبي طالب حتى يكفه عن الدعوة أو تجريده من جواره – أي حمايته – فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب .

قال ابن الأثير(١):" مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبي طالب: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ،وعاب ديننا، وسفه أحلامنا ،وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا ،وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً وردهم رداً رفيقاً، فانصرفوا عنه "

ويلاحظ هنا:أن قريشاً حاولت تغييرسلوك أبي طالب حيث أخبرته أن محمداً ﷺ سب الآلهة ،وسفه الأحلام وضلل الأباء، وأخذت في إغراء أبي

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١ / ٢٩٥ دا ر الفكر بيروت ، وسيرة ابن هشام ص ٢٦٥من رواية ابن إسحاق بدون إسناد – انظر الطبري ٢ /٣٢٣ ، السيرة النبوية ص ١٣٩ للشيخ أبو الحسن الندوي .

طالب ، وتذكره بأنه على مثل ما هم عليه حتى يخلي بينه وبينهم، ولكن شيم العروبة في حماية الجوار وقرابة الدم أبت عليه ذلك ،فقال لهم قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ٠

المطلب الثاني: وفد قريش للتهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب ٠

لم تفلح الوفادة الأولى عند أبي طالب على الرغم أنها كانت على أكبر مستوى من الجاه والسلطان ٠

ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يظهر دين الله سبحانه ويدعو إليه ، غضبت منه قريش وعادوه وحقدوا عليه وأكثروا من ذكره وحض بعضهم بعضاً ومشوا إلى عمه مرة أخرى

كانت هذه المحاولة من قريش لأجل إبعاد أبي طالب عن مناصرة وحماية رسول الله ﷺ، فذهبت وفود قريش إلى أبي طالب للتنبيه والتهديد بالمنازلة إن لم يكف ابن أخيه عن هذه الدعوة٠

وفي هذا يقول الطبري[1]:" إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا؛ وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك في ذلك؛ حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له؛ ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه."

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ٤٠٠ الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ٠ انظر سيرة ابن هشام ص٢٦٥ -انظر السيرة النبوية ص١٤٠ الشيخ أبو الحسن الندوي ٠

فبعث إلى رسول الله ﷺ وأبلغه مقالة القوم وطلب منه أن يبقي عليه وعلى نفسه ولا يحمله من الأمر ما لا يطيق ، فقال له[١]: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق !

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء[٢]، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه،ولذا قال له رسول الله ﷺ: يا عماه، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً."

وفي رواية لابن إسحاق[٣]:" من حديث عقيل بن أبي طالب : أنا أبا طالب أرسل عقيلا إلى النبي ﷺ ، فلما حضر الرسول ﷺ قال له عمه : إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء، فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا، وهذه هي الرواية الصحيحة .

ومن أبرز الحكم والعبر في هذين الوفدين:

---

(١) نفس المصدر السابق تاريخ الطبري١/٤٠١

(٢) البداء : الاسم من (بدا) يريد ظهر له رأي وسمي الرأي بداء لأنه شيء يبدو بعدما خفي (لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٦٦ ط ٠ دار صادر) .

(٣) سيرة ابن إسحاق ١ / ٥١ بإسناد حسن.

١- أن هذا الموقف القوي للرسول ﷺ من قومه ينسجم مع ما أمر به من البلاغ.

٢ - أما موقف أبي طالب فعجيب حقاً، ولم يجد ابن كثير[١] تفسيراً له سوى قوله :" أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحب محمدﷺ حبا طبيعياً لا شرعيا.

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه.ولاجترؤا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربك يخلق ما يشاء ويختار[٢] .

وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبولهب.

ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار[٣]، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ

---

(١) البداية والنهاية ٣ / ٤٥ - ٤٦ .

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية الدكتور مهدي رزق الله أحمد ١ / ١٨٧ ط. دار إمام الدعوة -الرياض ..

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه عن العباس أنه قال : " يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال :نعم، هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ١ /١٩٤ ص ٢٠٩ البخاري كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب ٣ / ١٤٠٨ ح ٣٦٧٠ والتخفيف عنه بسببه ، والضحضاح : ما رق من الماء علة وجه الأرض ، ما يبلغ الكعبين . يفهم من كلام ابن كثير أن أبا طالب، قضى كافراً، وأن الله تعالى قضى بذلك لحكمة عنده حماية لرسوله وذودا للإسلام..أقول هذا تعليل غير سائغ وغير مقبول.

في المواعظ والخطب. تتضمن أنه سيصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب[١].

وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول ﷺ ويحميه وينأى عن الدخول في الإسلام ٠ وقد روي أن الآية : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] قد نزلت فيه[٣] ٠

وبتدقيق النظر في هذه الوفادة من قريش نرى أنها حاولت عزل النبي ﷺ عن الدعوة بمضمون جديد مثير ومخيف حيث عقدت العزم بمقاتلة الطرفين وكادت تنجح هذه المحاولة الماكرة في تحويل رأي أبي طالب ٠

وهنا تتجلى الحكمة البالغة للنبي ﷺ وقوته الشخصية في اللحظات الحاسمة وثقته بربه وبنفسه التي آمنت إيماناً قوياً بما تدعو إليه من التوحيد، ليكون القدوة الصالحة والمثل الأعلى لرجل الدعوة في كل زمان ومكان[٤].

هنا رد النبي ﷺ رداً في غاية البلاغة والبيان مما أثر في نفس عمه أبي طالب فقال:" والله يا عمي، لو وضعوا الشمس في يميني " وختم ذلك بأن استعبر وبكى ثم ولى فأثار في عمه الحمية العربية وقرابة الدم التي يقدرها العرب هنا ربح النبي ﷺ الجولة وخسر المبطلون ٠

---

(١) سبق الإشارة إلى أن سورة المسد قد نزلت في أبي لهب وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما

(٢) [الأنعام آية:(٢٦)].

(٣) ابن الجوزي في زاد المسير ٣ /٢٧ ، تفسير الطبري ١١ / ٣١١ – ٣١٥ .

(٤) راجع الوفود في العهد المكي ص٣٢ .

المطلب الثالث : وفد قريش بعمارة بن الوليد:

ذاع أمر حماية أبي طالب لابن أخيه وتصميمه على مناصرته وعدم خذلانه ، فاشتد ذلك على قريش غماً وحسداً ومكراً، فأرسلوا إليه وفدا آخر للمساومة، حيث يطلبون محمدًا ﷺ مقابل رجل منهم «عمارة بن الوليد» ليقتلوا هذا الذي خالف دينهم وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم – كما يدعون – فقالوا له :" يا أبا طالب، هذا عمارة ابن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك ؟ وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامنا فنقتله ،فإنما هو رجل برجل ! قال: والله لبئس ما تسومونني ؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فتقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا."[1].

تحليل الموقف:

فكانت قولة أبي طالب البالغة الدلالة رداً حاسماً على قريش ،فتحقق القوم عندئذ أن الرسول ﷺ منع منهم بحماية أبي طالب شيخ قريش ، وشاع القرار الحاسم بين الأندية جميعاً . ونلاحظ هنا بأن الدعوة الإسلامية استفادت من قوانين المجتمع المشرك في الحماية والجوار مما يلي :

١ –أن قريش حاولت مع أبي طالب أن يدعو ابن أخيه للكف عن الدعوة لهذا الدين الجديد وقد فشلت هذه المحاولة ، وهذا ما نتوقعه ونحن نستفيد من قوانين المجتمع الجاهلي ، وهي محاولة استصدار قوانين جديدة تحول دون حرية الدعوة .

٢ – لجأت قريش إلى التهديد في المرة الثانية ، ونجحت في التأثير

---

(١) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ٣ / ٦٣ ط . دار الفكر بيروت ، وانظر سيرة ابن هشام ص ٢٦٧ من راية ابن إسحاق بدون إسناد – وانظر تاريخ الطبري ٢ / ٢٧ ط دار المعارف القاهرة – انظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٠٥ الشيخ محمد أبو زهرة مكتبة دار العلوم الدوحة سنة ١٤٠٠ هـ .

على أعصاب أبي طالب ، فدعا محمد رسول الله ﷺ إلى الكف عن الدعوة لهذا الدين ، لعجزه عن حمايته وهو في هذه الصورة ، لكن ثبات رسول اللهﷺ على الحق مهما كانت عاقبته ثبت أبا طالب ثانية في حمايته.

ونفقه من هذا التصرف أن فشل الجاهلية في المرة الأولى – من بعض فئاتها – لضرب الدعوة لا يثنيها عن هذا الطريق ، فقد تعيد الكرة ثانية وثانية .

٣- الاستفادة من العصبية الجاهلية في حماية شباب الدعوة أمر شرعي ولقد كان لحماية أبي طالب لرسول الله ﷺ وإجارته له ما هيأ له السبل الكافية لنشر الدعوة في قلب مكة ، دون أن يتعرض لأذى ماحق يقضي عليه .

ويقول رسول الله ﷺ:" **ما نالت مني قريشاً شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**"(١)

وهذا لا يعني أن الجاهلية قد وفت بعهدها وذمتها وحفظت جوار أبي طالب خلال هذه السنوات العشر ، ولكن من المؤكد أنها أخفقت في محاولاتها خرق هذا العهد،وكان لأبي طالب أثر فعال حال دون وصول الأذى الكبير إلى رسول الله ﷺ(٢)

ويا للعجب من مروءة أبي طالب مع صاحب الدعوة الجديدة ، الذي سفه الأحلام من وجهة نظره وضلل الآباء ، وعاب الآلهة التي يؤمن بها أبو طالب نفسه .

مما جعل أبا طالب يصر على موقفه من صلابة الرسول ﷺ ووثوقه بالحق الذي عليه، وعدم التنازل أو المداهنة في الحق الذي قامت عليه السموات والأرض.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٨ .

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية ، د / منير الغضبان ص ٥٣ .

المطلب الرابع: وفد قريش للرسول ﷺ لعرض المغريات والمساومات:

لقد تركت قريش المساند لرسول الله ﷺ «أبا طالب» لأن المحاولات فشلت معه، ولأن عصبته واقفة إلى صفه، ومن ثم لابد من مواجهة صاحب الدعوة لصرفه عن دعوته، فعرضوا عليه المال والشرف والسيادة على مكة، وجعله ملكا على قريش، وكان المفاوض للرسول ﷺ والعارض عليه تلك العروض هو عتبة بن ربيعة[١] في بداية الأمر، ثم عرضت عليه من قبل مجموعة من أشراف قريش، وبالرغم من ذلك الإغراء الذي تضعف أمامه القلوب البشرية ومن أراد الدنيا وطمع في مغانمها إلا أن رسول الله ﷺ اتخذ موقفًا حاسمًا في وجه الباطل دون مراغمة أو مداهنة، أو الدخول في دهاء سياسي أو محاولة وجود رابطة استعطاف أو استلطاف مع زعماء قريش[٢]، لأن قضية العقيدة تقوم على الوضوح والصراحة والبيان بعيدًا عن المداهنة والتنازل.

قال ابن كثير[٣] عن جابر بن عبد الله.قال: اجتمع قريش يوما فقالوا :أنظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه وليظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد".

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّك مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ[٤] فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ وَإِنَّك قَدْ أَتَيْت

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (٥٠٣/١، ٥٠٤).

(٢) انظر: الوفود في العهد المكي، واثرها الإعلامي لعلي الأسطل، ص٣٧..

(٣) البداية والنهاية ٣ / ٨١ .

(٤) السطة: الشرف، وفلان وسيطٌ في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً(لسان العرب٧ / ٣٤٠) ..

قَوْمَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنّي أَعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا . قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً ، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا ، حَتّى لا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك ، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لاَ تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك ، طَلَبْنَا لَك الطّبّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ[1] .

الرد المضاد من النبي ﷺ :

قَالَ أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ :فَاسْمَعْ مِنّي ؛ قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ﴿ **حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنّةٍ مِمّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ** ﴾[2] ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ، ثُمّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ،فَأَنْت وَذَاكَ، فَقَامَ عُتْبَةُ إلَى أَصْحَابِهِ ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ . فَلَمّا جَلَسَ إلَيْهِمْ، قَالُوا : مَا وَرَاءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ وَرَائِي أَنّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلاً وَاَللّهِ مَا سَمِعْت مِثْلَهُ قَطّ ، وَاَللّهِ مَا هُوَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٣ – وانظر البداية والنهاية ٣ / ٨١ – وانظر السيرة النبوية ص ١٤٩ – ١٥٠ الشيخ أبو الحسن الندوي – وانظر خاتم النبيين ص ٤٥٥ – ٤٥٦ الشيخ محمد أبو زهرة.

(٢) [فصلت آية: (١) – (٥)]..

بالشّعْرِ وَلاَ بالسّحْرِ وَلاَ بالْكِهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي ، وَخَلّوا بَيْنَ هَذَا الرّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ فَوَاللّهِ لَيَكُونَنّ لِقَوْلِهِ الّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزّهُ عِزّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النّاسِ بِهِ قَالُوا : سَحَرَك وَاَللّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ :هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ."[1] .

تحليل الموقف الذي حدث مع هذا الوافد القرشي :

كان رد رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» [2] .

هكذا فشلت قريش وزعامتها في إقناع النبي ﷺ مرة أخرى على الرغم من أن مضمون رسالتها يسيل لها لعاب طالب الدنيا حيث السيادة والزعامة والمال والجاه والسلطان فرفض رسول الله ﷺ دنياهم الفانية ،واستغل الظرف الاتصالي مع زعماء القوم فكرر الحقيقة على مسامعهم أنه رسول الله إليهم ، وأنزل عليه الكتاب ليخرجهم من الظلمات إلى النور وخيرهم بين القبول والرفض بغرض إعلامي ممتاز تتجلى فيه الصفات الناجحة للداعي من الصدق والقدرة على الإقناع بما أخبرهم، والقوة

---

(١) السيرة النبوية لأبن هشام ١ / ٢٩٢ -٢٩٣ وانظر البداية والنهاية ٣ / ٨٢ - وانظر خاتم النبيين ص ٤٥٦ الشيخ محمد أبو زهرة، وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده بتحقيق السمرائي والصعيدي ص ٣٣٧ ، ح ١١٢٣ وحسن الألباني إسناده ، انظر فقه السيرة للغزالي ص ١١٣ الحاشية ، وقال الألباني عن اسناد ابن إسحاق إنه حسن مرسل،

(٢) انظر: تاريخ صدر الإسلام، ص٣٨..

الشخصية والثقة بالنفس أمام جمعهم والإيمان بما يدعو له بإقتناع حازم والاهتمام بالمتلقي ونقل المعاني المطلوبة إليه ببساطة وأمانة وصبر ويقين وصراحة ووضوح.

نعم هذا هو الداعية الصادق الصابر الذي لا يلين مع الباطل .

فهذا رسول الله ﷺ يقول لقريش:"أصبر على الحكم حتى يحكم الله بيني وبينكم"[١]

بهذا الموقف الإيماني الثابت ردَّ كيدهم في نحورهم، وثبتت قضية من أخطر قضايا العقيدة الإسلامية وهي خلوص العقيدة من أي شائبة غريبة عنها سواء في جوهرها أم في الوسيلة الموصلة إليها[٢].

المطلب الخامس : وفد المساومات لاقتسام العبادة والزعامة :

كان هذا الوفد لمحاولة إخماد صوت الدعوة بالاتفاق معاً على حل وسط حتى يضمنوا بقاء مكانتهم أمام القبائل الأخرى، ومنعها أيضا من الدخول في هذا الدين الجديد، وهي محاولة ماكرة لأن السير في ركاب الباطل خطوة واحدة كان معنى هذا سقوط صاحب الحق في هاوية الإنحراف ونزلت (سورة الكافرون) «للمفاضلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق، نعم نزلت نفيًا بعد نفي، وجزمًا بعد جزم، وتوكيدًا بعد توكيد، بأنه لا لقاء بين الحق والباطل، ولا اجتماع بين النور والظلام، والأمر لا يحتاج إلى مداهنة أو مراوغة أو مصالح مشتركة أو مسائل داخلية... إلخ»[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٨..

(٢) راجع الوفود في العهد المكي ص ٣٨ بتصرف .

(٣) انظر: الوفود في العهد المكي،، ص٥٨- ٦١..

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق ، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه ، ويترك النبيﷺ بعض ما هم عليه قال تعالى:"﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [١] .

فعندما قالوا له اعبد آلهتنا يوما ونعبد إلهك يوماً أنزل الله تعالى سورة الكافرون قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[٢] .

وهنا تم حسم هذه المساومة الهزلية .

ولقد أخرج السيوطي أكثر من رواية ذات معنى واحد تذكر بأن سبب نزول هذه السورة هو مطالب وفد الزعامة باقتسام العبادة فقال في إحداها[٣] (لقي الوليد بن المغيرة والعاصي ابن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله فأنزل الله :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.. ﴾ إلى آخر السورة .

وكأنه يقول لهم : لا تتوهموا إني أجيبكم لطلبكم من الإشراك بالله حتى ولو كان في ذلك إيمانكم بما جئت به ،

وفي هذا إعلان وبيان من الله سبحانه وأمر إلهي حاسم نزل على سيدنا محمد ﷺ وسبيل واحد أمام جميع الدعاة في كل زمان ومكان بأن

---

(١) [القلم آية: (٩)]

(٢) [الكافرون آية: (١)- (٦)] ،

(٥) لباب النقول في أسباب النزول ١ / ٢١٨ جلال الدين السيوطي ، دار إحياء العلوم بيروت ١٤٠٠ هـ - وانظر أسباب النزول ص ٣٠٧ لأبي الحسن الو احدي .

طريق الحق واحد لا عوج فيه، ولا فجاج له، إنه العبادة الخالصة لله وحده رب العالمين .

فنزلت هذه السورة على الرسول ﷺ للمفاضلة الحاسمة بين عبادة وعبادة ومنهج ومنهج ،ونفياً بعد نفي وجزماً بعد جزم وتوكيداً بعد توكيد بأنه لا لقاء بين الحق والباطل فالإختلاف جوهري كامل يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق[١] .

فلما يئسوا منه طلبوا أن ينزع من القرآن ما يعيبهم من ذم الأوثان والوعيد الشديد لمن يعبدونها من دون الله ، فيأتي بقرآن غيره أو يبدله فأنزل الله جواباً لسؤالهم ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِـي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]

وعندما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريش ثقله قال بعضهم لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها .

فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا من ابن أخيه وليعطيه منا، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

وعندما جاء وفدهم إلى أبي طالب ، قال لمحمد ﷺ :هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ :نعم، كلمة واحدة يعطونيها يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم . وفي رواية : تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية،

---

(١) الوفود في العهد المكي ص٥٨ - ٥٩ .

(٢) [يونس آية: (١٥)]

قال: ففزعوا لكلمته ولقوله،قال :فقال القوم كلمة واحدة ،قال:نعم فقال أبو جهل: نعم وأبيك عشر كلمات، قال: تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب٠

ويذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية مطالبة الرسول ﷺ الملأ من قريش بكلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية وهي: "لا إله إلا الله" فقالوا :إلها واحدا، إن هذا لشيء عجاب[1].

ثم قال بعضهم لبعض : ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا، فأنزل الله فيهم أول سورة "ص"٠٠٠

التحليل :هكذا تآمر الملأ من القوم واتفقوا على مطالب عرفوا أنها مخالفة للناموس الإلهي ،وعساهم بذلك أن يرفعوا من شأن آلهتهم فطالبوا بمطالب القصد منها تحطيم الدعوة وتكذيب خبر السماء وتعبئة الكراهية بين الناس ، والحفاظ على صداقة وتأييد حلفائهم ،والاستمرار على صداقة القبائل القادمة إلى مكة والإبقاء على ضلالها ، بل إن الهدف الاستراتيجي الذي أرادوه من ذلك هو تحطيم الروح المعنوية لصاحب الدعوة الجديدة والمؤمنين بها ٠

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول جلال الدين السيوطي ١ / ١٨٦ .وانظر :(أحمد في المسند ٣ / ٣١٤ – ٣١٥ ، تحقيق أحمد شاكر) وقال شاكر: إسناده صحيح ٠

المطلب السادس: وفد التحدي والمجادلة:

اجتمع أشراف قريش بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، وقد عزموا هذه المرة على التحدي إذا لم تفلح المحادثة ، عادوا فكرروا المحاولة التى قام بها عتبة ابن ربيعة فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة و المال، وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذي يأتيه رئيا من الجن

قَالَ أبن إسحاق : "٠٠ وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذي يَأْتيك رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْك - وَكَانُوا يُسَمّونَ التّابِعَ مِنْ الْجِنّ رِئْيًا - فَرُبّمَا كَانَ ذَلِكَ بَذَلْنَا لَك أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطّبّ لَك حَتّى نُبْرِئَك مِنْهُ أَوْ نُعْذِرَ فِيك . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّه - ﷺ- مَا بِي مَا تَقُولُونَ مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشّرَفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيّ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَبَلّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنّ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَوْ كَمَا قَالَ - صلى الله عليه وسلم -[1] .

الهدف من هذا العرض: لقد كان الهدف من تلك المطالب هو شن حرب إعلامية ضد الدعوة والداعية وتآمرًا على الحق كي تبتعد القبائل العربية عنه ﷺ، لأنهم يطالبون بأمور يدركون أنها ليست من طبيعة هذه

---

(١) السيرة النبوية لأبن هشام ١ / ٢٩٥ وانظر البداية والنهاية ٣ / ٧٥- وانظر خاتم النبيين ص ٤٥٨ يقول الدكتور العمري : ولم يثبت من طريق صحيحة أن عتبة بن ربيعة أو الوليد بن المغيرة عرضا على رسول الله ﷺ عروضاً من الرئاسة والزواج والتطبب وإن اشتهر هذا بين الناس ، ولا يعني ذلك نفي وقوع الأمر تاريخياً بل عدم ثبوته فقط وما أكثر الأحداث التاريخية التي وقعت ثم لا يمكن إقامة الأدلة الصحيحة عليها (السيرة النبوية الصحيحة ١ / ١٦٢)..

الدعوة ولهذا أصروا عليها، بل لقد صرحوا بأنه لو تحقق شيء من ذلك فلن يؤمنوا أيضا بهذه الدعوة، وهذا كله محاولة منهم لإظهار عجز الرسول ﷺ واتخاذ ذلك ذريعة لمنع الناس عن اتباعه[1]، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ليثبت به قلوب المؤمنين ، ويفيض على رسوله ﷺ من الثقة والطمأنينة والإناس والرحمة ما يجعله واسع الصدر على أعدائه صبوراً في دعوته وجهاده ، هذه الآيات كانت بياناً متسقاً مع جولتهم ، أغاظ قلوبهم ورد كيدهم إلى نحوهم ، ويقرر في ختامه البشرية مع الرسالة قال تعالى :﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء آية: (٩٣)] .

لجوء المشركين إلى المطالبة بالمعجزات لإثبات النبوة :

لما لم يستجب النبي ﷺ لهذه المطالب التي يعرضونها عليه لجئوا إلى أسلوب آخر الهدف منه تعجيز النبي ﷺ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا شَيْئًا مِمَّا عَرَضْنَاهُ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقَ بَلَدًا ، وَلاَ أَقَلَّ مَاءً وَلا أَشَدَّ عَيْشًا مِنَّا ، فَسَلْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ فَلْيُسَيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا ، وَلْيَبْسُطْ لَنَا بِلاَدَنَا وَلْيُفَجِّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا ، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يُبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلاَبٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخَ صِدْقٍ فَنَسْأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولُ أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَصَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ صَدَّقْنَاكَ ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولاً كَمَا تَقُولُ . فَقَالَ لَهُمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ - : مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا

---

(١) الوفود في العهد المكي، ص٤٠، ٥١..

وَالآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرُ لأَمْرِ اللّهِ تَعَالَى ، حَتّى يَحْكُمَ اللّـهُ بَيْنِـي وَبَيْنَكُمْ قَالُوا : فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا ، رَبّك أَنْ يَبْعَثَ مَعَك مَلَكًا يُصَدّقُك بِمَـا تَقُولُ وَيُرَاجِعُنَا عَنْك وَسَلْهُ فَلْيَجْعَلْ لَك جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِـنْ ذَهَـبٍ وَفِضّةٍ يُغْنِيك بِهَا عَمّا نَرَاك تَبْتَغِي ، فَإِنّك تَقُومُ بِالأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ وَنَلْـتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ حَتّى نَعْرِفَ فَضْلَك وَمَنْزِلَتَك مِنْ رَبّك إنْ كُنْت رَسُـولاً كَمَا تَزْعُمُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَمَا أَنَا بِالّذِي يَسْأَلُ رَبّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْت إلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا - أَوْ كَمَـا قَالَ - فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَالُوا : فَأَسْقِطْ السّمَاءَ عَلَيْنَا كِسَفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنّ رَبّك إنْ شَاءَ فَعَلَ فَإِنّا لاَ نُؤْمِنُ لَك إلاّ أَنْ تَفْعَلَ قَـالَ فَقَـالَ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - : ذَلِكَ إلَى اللّهِ إنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ قَالُوا : يَا مُحَمّدُ أَفَمَا عَلِمَ رَبّك أَنّا سَنَجْلِسُ مَعَك وَنَسْأَلُك عَمّا سَأَلْنَاك عَنْهُ وَنَطْلُبُ مِنْـك مَـا نَطْلُبُ فَيَتَقَدّمَ إلَيْك فَيُعَلّمَك مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ وَيُخْبِرُك مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا ، إذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْك مَا جِئْتَنَا بِهِ إنّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنّك إنّمَا يُعَلّمُك هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَـةِ يُقَالُ لَهُ الرّحْمَنُ وَإِنّا وَاَللّهِ لاَ نُؤْمِنُ بِالرّحْمَنِ أَبَدًا ، فَقَدْ أَعْذَرْنَا[1] إلَيْـك يَـا مُحَمّدُ وَإِنّا وَاَللّهِ لاَ نَتْرُكُك وَمَا بَلَغْت مِنّا حَتّى نُهْلِكَك ، أَوْ تُهْلِكَنَـا . وَقَـالَ قَائِلُهُمْ نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلاَئِكَةَ وَهِيَ بَنَاتُ اللّهِ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ لَنْ نُؤْمِنَ لَك حَتّـى تَأْتِيَنَا بِاَللّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً ' فَلَمّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ - ﷺ - قَـامَ عَـنْهُمْ وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمّتِهِ فَهُوَ لِعَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ - فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمّدُ . عَرَضَ عَلَيْك قَوْمُك مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ ثُمّ سَأَلُوك لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا

---

(١) أعذره: بمعنى عذره و تَعَذّرَ عليه الأمر تعسر وتعذر أيضا أي اعتذر واحتج لنفسه.(مختار الصحاح ١/١٧٧)

مَنْزِلَتَك مِنْ اللّه كَمَا تَقُول ، وَيُصَدِّقُوك وَيَتَّبِعُوك فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمّ سَأَلُوك أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِك مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضْلَك عَلَيْهِمْ وَمَنْزِلَتَك مِنْ اللّه فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمّ سَأَلُوك أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ فَلَمْ تَفْعَلْ - أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ - فَوَاَللّهِ لاَ أُومِنُ بِك أَبَدًا حَتّى تَتَّخِذَ إلَى السّمَاءِ سُلّمًا ، ثُمّ تَرْقَى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إلَيْك حَتّى تَأْتِيَهَا ، ثُمّ تَأْتِي مَعَك أَرْبَعَةٌ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ يَشْهَدُونَ لَك أَنّك كَمَا تَقُول ، وَايْمُ اللّهِ لَوْ فَعَلْت ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنّي أُصَدِّقُك ، ثُمّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ - ﷺ - . وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ مِمّا كَانَ يَطْمَعُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَوْهُ وَلِمَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ[1] إيّاهُ[2]

والقرآن الكريم أكد على طلبهم أن تكون للرسول ﷺ معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين من ذلك قولهم :﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا..﴾** [الفرقان آية: (٧)- (٨)]

وقولهم :﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً* وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾**.

[الإسراء آية: (٩٠) إلى (٩٤)]

---

(١) باعده مُباعَدَة و بعادا و باعد الله ما بينهما و بَعَّد ،ويُقرأ: ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا ، و بَعِّدْ؛ قال الطرمّاح:
تَباعَدْ مِنّا مَن نَحِبُّ اجْتِماعَه، وتَجْمَعُ مِنّا بين أهل الضِّغائن (لسان العرب ٣ / ٩٠)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٩٧ -١٩٩ وانظر البداية والنهاية ٣ / ٧٦ - ٧٧ - وانظر خاتم النبيين ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

وسألوه أن يسير لهم جبال مكة ويقطع لهم الأرض ليزرعوها ويبعث لهم ما مضى من الأباء أمثال قصي ، ليسألوه عن صدق محمد ، ورد عليهم في قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ [الرعد آية: (٣١)]

هذا البيان الإلهي إيناس للرسول ﷺ وتطمين له يواجه به مشركي قريش ، الذين اعترضوا على بشريته ، وتطاولوا عليه بالباطل.

ولا شك أن ما طلبوه من النبي ﷺ لو علم الله منهم أنهم يسألون عن ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ، ولكن علم الله أنهم يطلبون ذلك كفراً وعنادا ، فقيل لرسول الله ﷺ : إن شئت أعطيناهم ما سألوا ، فإن كفروا عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة.

ولكن أخذ عناد المشركين يقوي ولجاجتهم تشتد للرسول ﷺ وتحديه بمطالبته بالإتيان بمعجزات تثبت نبوته .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا وَنُؤْمِنُ بِكَ، قَالَ: وَتَفْعَلُونَ، قَالُوا: نَعَمْ ،قَالَ: فَدَعَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمْ الصَّفَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ لْعَالَمِينَ ،وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ قَالَ :بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ[1].

---

(١) أحمد في المسند ١ / ٢٤٢ ، ٣٤٥ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٥٠ وقال : رجاله رجال الصحيح والحاكم في المستدرك : كتاب الإيمان١ / ٥٣- ٥٤ ح ١٦٠ وقال هذا حديث صحيح محفوظ وقال ابن كثير إسناده جيد (السيرة النبوية ١ / ٣٦٢).

قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ .. ﴾[1].

وهكذا كان طلبهم على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾[الأنعام الآيات: (١٠٩)- (١١١)]

فكما أن معجزة هود لم تنفع في جلب ثمود إلى الإيمان ، فإن المشركين من قريش لن تنفعهم قياساً على ما وقع من عبر التاريخ الغابرة[2] .

طلبوا ذلك لا ليؤمنوا ولكن ليحرجوا الرسول ﷺ وليعلموا قوة جدالهم وتعنتهم لا طلباً للدليل.

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: ما كانت هذه الأسئلة إلا لإظهار النبي ﷺ بمظهر العاجز ، وإذا ظهر عجزه في زعمهم اتخذوا ذلك ذريعة لمنع الناس عن إتباعه ولكن هل تحقق ما أرادوا ؟ لقد ثبت بذلك صدقه ، وأنه يريد إلا الحق والأتباع يزيدون ولا ينقصون ، ولا يرتد منهم أحد[3].

ولكن أمام المشركين وعنادهم استجاب ﷺ لهم- وقد سألوه آية -

---

(١) [الإسراء آية: (٥٩)].

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١ / ١٦٦

(٣) خاتم النبيين العهد المكي ص ٤٦٤ ، الشيخ ابو زهرة.

فأراهم القمر شقين روى البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:اشْهَدُوا[1].

وقد شاهد الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ حادثة انشقاق القمر بمكة وقد خلد القرآن هذه المعجزة فقال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[2].

وهكذا عللوا رؤيتهم لانشقاق القمر بالسحر، وكانوا يتهمون به الرسول ﷺ وتحققت فيهم سنة السابقين مع المعجزات الحسية كما أخبر القرآن .

وقد جادل المشركون في نزول القرآن منجماً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [3] قال : « أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، وكان بموقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض ، قال : وقالوا : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا) [4][5]. »

وقد خاصم المشركون رسول الله ﷺ في القدر – وهو إثبات ما قدره

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب انشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ح ٤٥٨٣ وصحيح مسلم كتاب التوبة ، باب انشقاق القمر ٤ / ٢١٥٨ ح٢٨٠٠.

(٢) [القمر آية: (١)- (٢)].

(٣) [القدر آية: (١)].

(٤) [الفرقان آية : ٣٢].

(٥) الحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ٢ / ٢٢٢ ح ٢٨٣٢ وقال : « هذا حديث صحيح على شرطهما ،ولم يخرجاه »

الله وقضاه وسبق به علمه وكتبه على عباده فكان ما يقع لهم أنما هو مقدر في الأزل معلوم لله مراده – روى الإمام مسلم في صحيحه **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ :﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (١) ﴾(٢)** .

وهكذا استمرت طلائع النصر تتنزل على الرسول ﷺ لتطمئن به قلوب المؤمنين وتغيظ قلوب الكافرين فنزل البيان الإلهي رداً حاسماً على آثار التحدي النفسي لمطالب وفد التحدي ، نزل تأميناً وبشرى للرسول ﷺ أمام هذا الموقف الرهيب الذي قصده زعماء قريش ومطالبهم لخرق وتحدي الناموس الإلهي (٣).

الدروس العبر و العظات :

فى هذا المشهد الذي عرضته من سيرته ﷺ في مواجهة هذه الوفود ثلاث دلائل كل واحدة منها على جانب كبير من الأهمية:

الدلالة الأولى : وهى توضح لنا في تمحيص دقيق حقيقة الدعوة التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم وتفصلها عن كل ما قد يلتبس بها من الأهداف والأغراض التي قد يضمرها في أنفسهم عادة أرباب الدعوات الجديدة و المنادون بالثورة و الإصلاح .

هل النبي ﷺ يضمر من وراء دعوته الوصول إلى ملك ؟ أو لعله

---

(١) [القمر آية: ٤٨ – ٤٩].

(٢) مسلم :كتاب التفسير ، باب كل شيء بقدر ٤ / ٢٠٤٦ ح ٢٦٥٦، الترمذي : كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر ٥ / ٣٩٨ ح ٣٢٩٠ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٣) [الوفود في العهد المكي ص ٤٥ .

يضمر الوصول إلى مستوى رفيع من الزعامة أو الغنى،أو لعل الأمـر لا يعدو خيالات تتراءى له بسبب مرض يعانيه ؟ .

كل هذه الإحتمالات ،وسائل قد يتذرع بها محترفوا الغـزو الفكـرى وأعداء هذا الدين ولكن يا لأسرار الحياة العظيمة التى هيأها رب العـالمين لرسوله ! .... لقد ملأ الله عز وجل حياة رسوله بالمواقف و المشاهد التى تقطع دابر كل إحتمال ، وتقطع السبيل الى كل وسواس ، وتـدع أربـاب الغزو الفكرى حيارى فى الطريقة التى ينبغى لهم أن يسلكوها فى حـربهم الفكرية .

كان من جليل حكمة الله تعالى أن يقوم مشركوا قريش بسلسلة مـن المفاوضات مع رسول الله ﷺ عن طريق الوفود التي أرسـلوها، بعـد أن صوروا فى أنفسهم كل هذه الإحتمالات ، وهم أدرى الناس بطبيعة دعوته و الغاية البعيدة من رسالته و بأنه لن ينزل عند شيء من مغرياتهم ، ولكـن هكذا أرادت الحكمة الإلهية حتى ينطق التاريخ بتكذيب كل من سيأتي مـن محترفى الغزو الفكرى و التشكيك مع الزمن[١].

<u>الدلالة الثانية</u> : وهى تبين لنا معنى الحكمة التى كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يتمسك ويتصف بها.

أنه ليس لأحد من الناس أن يغير شيئا من أحكام الإسلام ومبادئه، أو يتجاوز شيئاً من حدوده أو يستهين بها ،باسم إتباع الحكمة فى النصـيحة و الدعوة ،لأن الحكمة لا تعتبر إلا إذا كانت مقيدة ومنضـبطة ضـمن حدود الشريعة ومبادئها و أخلاقها.

<u>الدلالة الثالثة</u> : ونستفيدها من موقف الرسول ﷺ من تلك المطالـب

---

(١) انظر البوطي فقه السيرة ص ٩٠

التى طلبتها قريش منه صلى الله عليه وسلم شرطاً لإتباعها إياه، وهو موقف أيده الله فيه ، ففيه كما ذكر عامة المسلمين نزل فيه قول الله تعالى :﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا ' أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ' أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾[1].

وليس السبب فى عدم إستجابة الله لهم ذلك ، ما قد يظنه البعض من أن الرسول ﷺ ما أوتى من المعجزات إلا معجزة القرآن ولذلك لم يستجب لهم مطالبهم ، وإنما السبب أن الله ﷻ علم أنهم إنما يطالبون بذلك كفراً وعناداً وإمعاناً فى الإستهزاء برسول الله ﷺ، كما هو واضح فى أسلوب طلبهم ونوع المطاليب التى عرضوها، ولو علم الله عز وجل فيهم صدق الطلب وحسن النية وأنهم مقبلون فى ذلك على محاولة التأكد من صدق النبى ﷺ، لحقق لهم ذلك ، ولكن أمر قريش فى ذلك مطابق لما وصفه الله تعالى فى آية أخرى وهى قوله تعالى﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ* لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[2] وإذا علمت ذلك أدركت أنه لا تنافى بين هذا وما ثبت من إكرام الله لنبيه عليه الصلاة و السلام بالمعجزات الكثيرة المختلفة مما سبق ذكره [3].

---

(١) [الإسراء الآيات٩٠-٩٣] .

(٢) [الحجر الآيتان ١٤ -١٥].

(٣) فقه السيرة للبوطي ص ٩٠.

المبحث الثالث
وفود مكة الخارجية

توطئة :

صمدت الدعوة الإسلامية أمام الطغيان المكي ، ولم يتغير هدفها ولم يتبدل أمام الإغراءات والتهديدات على السواء ، لذلك كان لا بد أن يستمر الصراع بين الحق والباطل في الداخل والخارج ، فخرجت وفود من مكة ودخلتها وفود بسبب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى إما حرباً عليها أو تأيداً لها.

واتصفت هذه المرحلة بالحركة والحيوية التي أثارت العقول ، ولفتت إليها الأنظار البعيدة بعد أن عجزت عيون قريش عن القضاء عليها ، والإبقاء على سيادتها وزعامتها على سائر عرب الجزيرة .ولكن الدعو الإسلامية قفزت بقو في صدر الأخبار التي تناقلها الرواة في ذلك الوقت حتى كانت حديث الوفود الخارجية والداخلية ، ولا ريب أن الإسلام قد جعل من هذه الرسالة أفضل الطرق إلى الدعوة والإعلام بالحق لما لها من أساليب مقنعة ، وبما فيها من حرية السؤال والجواب والأخذ والرد والحوار والمجادلة ، وإمكانية الإقناع والمرونة أمام مقاومة قريش. وقد جمع القرآن الكريم سلسلة من الإتصال الشخصي بين الرسل وأقوامهم مبينة كيفية الدعوة وأساليبها ووسائلها ونتائجها ومناهجها ، هكذا كانت وسيلة الإتصال الشخصي أساس البلاغ والإعلام في دعوة محمد ﷺ . مما دعا قريش إلى القيام بوفود خارجية كما يتبين من الآتي :-

المطلب الأول: وفد قريش من أحبار يهود بالمدينة بأسئلة تعجيزية:

لقد وجدت قريش نفسها عاجزة أمام دعوة الحق، وكان المعبر عن هذا العجز النضر بن الحارث الذي صرخ قائلا: «يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد.. فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم»[١].

من هنا عقدت قريش العزم على الإستعانة باليهود بعدما استنفذت قواها ومكرها أمام الحجج القوية الدامغة للدين الجديد الذي يدعوا إليه محمد ﷺ .

فقرروا إرسال النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى اليهود لمعرفة حقيقة هذه الدعوة لا لكي يتبعوها، ولكن لإدراكها أن رسول الله ﷺ لن يجب على مطالبهم التي طلبوها، ولمعرفتهم بحقد اليهود المنصب على الأنبياء جميعا وأصحاب الحق أينما كانوا ومعرفتهم بأخبار الأولين، فقد يمدونهم بأشياء تظهر عجز الرسول ﷺ فيحققوا بذلك هدفهم الدعائي أمام القبائل العربية، ولم يدروا بسلوكهم هذا أنهم نقلوا أخبار الدعوة الإسلامية إلى خارج مكة مهما كان غرضهم وهدفهم [٢].

تحرك وفد قرشي من مكة يضم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالت قريش لهما[٣]:" سَلَاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأُوَلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ

---

(١) انظر: تاريخ صدر الإسلام، ص٤٠..

(٢) المصدر نفسه، ص٤١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٠١ ٢٩٥ وانظر البداية والنهاية ٣/ ٥٢-٥٣ وانظر خاتم النبيين ص٤٦٥.

رَسُولِ اللّه ﷺ وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِه وَقَالَا لَهُمْ إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ سَلُوهُ عَنْ ثَلَاث نَأْمُرُكُمْ بِهِنّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنّ فَهُوَ نَبِيّ مُرْسَلٌ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرّجُلُ مُتَقَوّلٌ فَرَوْا فِيه رَأْيَكُمْ .

١ -سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدّهْرِ الْأَوّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ فَإِنّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ ٢ - وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبَؤُهُ .

٣ - وَسَلُوهُ عَنْ الرّوحِ مَا هِيَ ؟

فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِك فَاتّبِعُوهُ فَإِنّهُ نَبِيّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَا لَكُمْ .

التحليل : يتضح لنا بعد هذه المحادثة بين أهل الباطل وقفة نظر وتأمل وتدبر وخشوع وخضوع لحكمة الله ﷻ حيث ينقل خبر السماء من مكة إلى المدينة كل هذه المسافة وعلى لسان من، لسان الكافرين ، وإلى من ، إلى المعاندين الجاحدين .

وإن المرء ليعجب أشد العجب من قول أحبار اليهود ، يضعون الشروط لصحة الدين وصدق النبوة ، ويطلبون من قريش الإتباع له ، وكأني لهم قد أخرجوا أنفسهم من واجب اعتناقه ، ودبروا في قلوبهم كيداً للدين الجديد وصاحبه حيث وجهوا النصيحة لقريش فقط بإتباعه إن أجابهم على الأسئلة ، أما هم وكأن الأمر لا يهمهم ولا يعنيهم من قريب أو بعيد [١].

ورجع الوفد إلى مكة ومعه فصل الخطاب فقالا[٢]: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ،

---

(١) راجع الوفود في العهد المكي ص ٩٩ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ، جماع أبواب المبعث ، باب ذكر أسئلتهم رسول الله ﷺ بمكة٢ / ٤٧ المكتبة السلفية ، المدينة المنورة الطبعة الأولى١٣٨٩ هـ .

قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ أَخْبَرَنَا أَحْبَارُ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا.

فسألوه عما أمروهم به.

فقال لهم رسول الله ﷺ: " **أخبركم غدا بما سألتم عنه** " ولم يستثن.[أي لم يعلق الإجابة على مشيئة الله ﷻ] فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف[1] أهل مكة ،وقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه، حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله ﷻ بسورة [أصحاب الكهف] فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية ،والرجل الطواف، والرد عليهم في سؤالهم عن الروح في سورة الإسراء، قال الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[2].

هكذا ذاع أمر الإسلام ونشر أخباره على لسان أعدائه فيجيء الرد في الوقت المناسب وقد تأهب له أكبر عدد من الناس بعد طول انتظار، وارجافهم في الأرض، واشاعتهم عجز محمد ﷺ ، فتكون الإجابة أوقع في

---

(١) أرجف أهل مكة: خاضوا في الأخبار السيئة التي من شأنها إيقاع الناس في البلبلة والاضطراب لإبعادهم عن النبي صلى الله عليه وسلم (لسان العرب ٩ / ١١٣) .

(٢) [الإسراء آية: (٨٥)]

النفس ، ويكون التحدي أشد تثبيتاً ، واقوى لتكذيبهم ورد كيدهم في نحورهم ،ويكون أيضاً دعوة لتصديق النبي[١]ﷺ وهكذا كان القرآن العظيم هو الحصن المنيع والوسيلة الإعلامية الكبرى ، والطريقة المثلى للدعوة الإسلامية ، ولوضع الأساس المتين للمجتمع الإسلامي الجديد[٢].

وهكذا أبطل الله كيدهم عندما أنزل قرآناً بشأن الإجابة على أسئلتهم، ففي هذا الوقت العصيب نزلت (سور الكهف) رداً على أسئلة طرحها المشركون على النبي ﷺولكنها اشتملت على ثلاث قصص ، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين ٠ فقصة أهل الكهف ترشد المؤمن إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حيث مخالفة الفتنة على الدين ، متوكلا على الله ﴿ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً** ﴾[٣]

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائماً ، بل ربما يكون الأمر خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الإضطهاد القائم ضد المسلمين سيرفع قريباً ٠

ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة :﴿ **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر آية: (١٠)]

ففي هذه الظروف كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ، فراراً بدينهم من بلاد الفتنة إلى بلاد الأمان ٠

---

(١) راجع الوفود في العهد المكي ص ١٠٠

(٢) انظر الإعلام في صدر الإسلام ص ٤٢ – ٤٣ ، د عبد اللطيف حمزة ٠

(٣) [الكهف آية: (١٦)]٠

المطلب الثاني : وفد الهجرة الأولى إلى الحبشة:

أسباب الهجرة:لقد فكر النبي ﷺ بالخروج بالدعوة من مكة لتحقيق أمور من أهمها:

١- البحث عن موطن يأمن فيه المسلمون على دينهم، ويسلمون من أذى قريش وفتنتها، حيث لا تطالهم يدها، ولا يمتد إليهم بطشها.

٢- البحث عن بيئة تقبل الدعوة، وتستجيب لها، في مقابل عنت القرشيين ونكولهم، ومن هذه البيئة تنطلق إلى آفاق الأرض، تحقيقًا لأمر الله بالتبليغ للعالمين[١].ومن أجل هذا نجد سيد البشر محمد ﷺ يبحث في الأرض كلها عن مكان آمن لا تستطيع يد الشرك أن تصل إليه ، وكان هذا المكان هو أرض الحبشة[٢] .

تاريخ الهجرة :من الثابت أن المسلمين هاجروا إلى الحبشة مرتين وكانت الهجرة الأولى في شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار[٣] .

وقد صورت أم سلمة زوج النبي ﷺ وهي ممن هاجر إلى الحبشة(الهجرة الأولى) والظروف التي أحاطت بهذه الهجرة **عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ :لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة**

---

(١) أنظر: الغرباء الأولون ص ١٦٧، ص١٦٨ سلمان العودة..

(٢) راجع فقه السيرة للغزالي ص ٩٠ - ٩٤.

(٣) فتح الباري ٧ / ١٨٧ ويذكر أبن إسحاق أنهم عشرة رجال وأربع نسوة (سيرة ابن هشام ١ / ٣٤٤

في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شئ مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً - أي جماعات - حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمناً على ديننا، ولم نخش منه ظلماً...[١].

وذكر ابن سعد[٢]:"أسماء اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ووافقه في ذلك ابن سيد الناس[٣] ، وزاد عليه امرأة خامسة وهي أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، زوجة أبي سبرة.

١ - عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله، ﷺ.

٢ - وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

٣ - والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ﷺ .

٤ - ومصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ﷺ .

٥ - وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زهرة ﷺ.

٦ - وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة،

---

(١) السير والمغازي ص ٢١٣ ، من رواية يونس بن بكير ، ابن هشام ١ / ٤١٣ من رواية البكائي ، وإسناده حسن

(٢) الطبقات ١/ ٢٠٤ من طريق الواقدي، وهذا هو الذي إختاره ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٣.

(٣) عيون الأثر ١ / ١٥٥

٧ - وعثمان بن مظعون الجمحي ﷺ .

٨ - وعامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة،

٩ - وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى العامري ﷺ .

١٠ - وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ﷺ .

١١- وسهيل بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ﷺ .

١٢ - وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة ﷺ .

وقد قال الرسول ﷺ في عثمان ورقية رضي الله عنهما :" إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام[1].

هكذا كان الرحيل إلى الحبشة في الهجرة الأولى تسللاً في الخفاء، حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتحبطه، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع، بل كان الفوج الأول مكوّناً من بضع أسر، فيهم رقية ابنة النبي عليه الصلاة والسلام وزوجها عثمان بن عفان، ونفر آخر من المهاجرين لم يزيدوا جميعاً عن ستة عشر. وقد يمّموا شطر البحر حيث قيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة ، فلما خرجت قريش في آثارهم إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين.

ومما يستفاد من أحداث الهجرة إلى الحبشة :

١- لقد اشتد البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، ورمضاء مكة والنار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان،

---

(١) البيهقي : الدلائل جماع أبواب المبعث ، باب الهجرة الأولى إل الحبشة ٢ / ٢٩٧ ، من حديث أنس بإسناد ضعيف ، لضعف بشر بن موسى الخفاف .

ومنهم من تصلب في دينه وعصمه الله منهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل لكم فرجا مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام. (١) .

٢- الصبر على الشدّة والبلاء في سبيل الله فلقد لاقى النبي ﷺ وأصحابه في مكة المكرمة، من الشدّة والأذى ما يصعب على غيرهم احتمالُه.

٣- ثبات المؤمنين على عقيدتهم ودينهم الحنيف، دون الخضوع لضغوط الأعداء.

٤- شفقة النبي ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، حيث أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة.

وهكذا هيأ الله لعباده المؤمنين المستضعفين المأوى والحماية من أذى قريش وأمّنهم على دينهم وأنفسهم ، وكان في هذه الهجرة خير للمسلمين، إذ استطاعوا -فضلاً عن حفظ دينهم وأنفسهم - أن ينشروا دعوتهم، ويكسبوا أرضاً جديدة تكون منطلقاً لتلك الدعوة، ومن كان مع الله كان الله معه..

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : والحق أن الهجرة في ذاتها كانت وسيلة من ابلغ وسائل الإعلام في الإسلام ، ذلك أن مجرد خروج المسلمين من بلد كانوا فيه منذ النشأة يخلق تساؤلاً كبيراً في المجتمع الذي فيه تزييف

---

(١) الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون، ص٢٩٠.

وتشويه لأخبار الدين الجديد. وقد جعلت هذه الهجرة أهل مكة يشعرون في داخل نفوسهم بأنه ما لم يكن هؤلاء المهاجرون على حق لما تركوا وطنهم الذي نشأوا فيه ، فلا بد أن يكون الذي دعاهم إلى هذه التضحيات الجسيمة هو الحق والحق وحده [١].

وفي أعقاب الهجرة الأولى إلى الحبشة حدث أن صلى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ، فقرأ سورة النجم فسجد في موضع السجود وسجد كل من كان حاضراً إلا اثنين من المستكبرين فشاع أن قريش قد أسلمت لهذه القصة المزعومة والتي زعم بعض الناس أنها كانت سبباً لوقوع هدنة حقيقية بين الإسلام والوثنية مما أدى إلى رجوع المهاجرين من الحبشة .

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْن أَبِي حَاتِم وَالطَّبَرِيُّ وَابْن الْمُنْذِر مِنْ طُرُق عَنْ شُعْبَة عَنْ أَبِي بِشْر عَنْ سعيد بن جبير قَالَ :" قَرَأَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَالنَّجْم ، فَلَمَّا بَلَغَ (**أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاة الثَّالِثَة الأُخْرَى**) أَلْقَى الشَّيْطَان عَلَى لِسَانه : تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتهنَّ لَتُرْتَجَى ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : مَا ذَكَرَ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْم ، فَسَجَدَ وَسَجَدُوا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة " [٢]

قال ابن كثير[٣]:"قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم ".

---

(١) انظر الإعلام في صدر الإسلام ص ١٣٥ ، د عبد اللطيف حمزة .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٤ وسيرة ابن هشام ١ / ٣٣٤ ، تفسير الطبري ١٧/ ١٨٩ .

(٣) تفسير القرن العظيم لابن كثير ٣ / ٢٢٩ .

وممن روى هذه القصة ابن سعد[١] والطبري[٢] والبيهقي [٣]، ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيره من أصحاب الكتب المعتمدة على التحرير وهي باطلة من حيث السند والمتن[٤].

قال الدكتور أكرم العمري : وما قالته روايات المراسيل يصطدم مع عصمة النبوة في قضية الوحي ، ويعارض التوحيد وهو أصل العقيدة الإسلامية ، لذلك فإنها مرفوضة متناً حتى ولو ثبت تعدد مخارجها [٥].

ولعل سجود المشركين مع الرسول ﷺ لما اعتراهم من خوف ودهشة وهم يستمعون إلى أخبار هلاك الأمم السالفة [٦] .

المطلب الثالث: سبب عودة المهاجرين إلى مكة والهجرة الثانية إلى الحبشة :

لم يمكث أولئك المهاجرون طويلاً حتى ترامت إليهم الأخبار بأن المشركين هادنوا الإسلام وتركوا أهله أحراراً، وأن الإيذاء القديم انقطع فلا بأس عليهم إن عادوا.

وبادرت قريش بإرسال وفد لاستعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وهذه المبادرة تدل على إدراكها لخطورة الموقف إذا ما حصل المسلمون على مأوى لهم يأمنون فيه ، والحبشة نصرانية ، وملكها عرف بالعدل وهي

---

(١) الطبقات ١ /٢٠٥ -٢٠٦ ، من طريق الواقدي فهو ضعيف جداً .

(٢) التفسير ١٧ / ١٣١ – ١٣٢ وفي إسناده أبومعشر فالإسناد ضعيف.

(٣) الدلائل ٢ /٢٨٥ – ٢٨٧ ، وإسناده ضعيف.

(٤) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د . مهدي رزق، ١ / ٢٢٥ -٢٢٦

(٥) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١ / ١٧١ وراجع الألباني: نصب المجانبق لنسف قصة الغرانيق.

(٦) الألوسي : روح المعاني ١٧٨/١٧ ط .المنيرة.

قريبة من مكة ، وكل ذلك يشكل خطراً على قريش في المستقبل[١].

وعندما تسامع المهاجرون بأن قريشًا قد أسلمت، وكفت عن إيذاء النبي ﷺ رجعوا، فوجدوا الأمر أشد مما كان، فأذن النبي ﷺ بالهجرة الثانية، فهاجر قرابة المائة ما بين

رجل وامرأة واستقروا هناك[٢].

وسرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة على ثمانين رجلاً .

وقال ابن جرير: " كانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى نسائهم وأبنائهم .. وقيل إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة "[٣]

لقد ذكر **ابن إسحاق** [٤] دوافع الهجرة الثانية، فقال: (فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة) [٥].

فزعت قريش من انتشار الدعوة في الداخل والخارج ، وزاد حزنها وغيظها لما رأت اصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وطاب لهم القرار، وعندئذ أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، فقابلا النجاشي طالبين إليه إعادة من هاجر من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى المسلمين فسألهم عن دينهم فقال

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) انظر: الغرباء الأولون، ص (١٦٩).

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٦٣٦ ط ٠ دار الكتب العلمية-بيروت.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار من كتاب السيرة (انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤/٧).

(٥) السير والمغازي لابن إسحاق، ص ٢١٣، تحقيق: سهيل زكار.

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: (أيها الملك كنا قومًا على الشرك، نعبد الأوثان ونأكل الميتة، ونسئ الجوار، ونستحل المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئًا ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره) [١].

فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال جعفر: نعم.

قال: هَلُمَّ فاتلُ عليَّ ما جاء به.

فقرأ عليهم صدرًا من ﴿كهيعص﴾ [٢]، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها عيسى.. انطلقوا راشدين.

خيبة وفد قريش : لما أخفقت محاولة وفد قريش في استعادتهم، أثار عمرو بن العاص في اليوم التالي موقف المسلمين من عيسى عليه السلام، فقال للنجاشي: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيمًا، فأرسل النجاشي إليهم، فسألهم، فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فقال النجاشي: ماعدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود، وأعطى النجاشي الأمان للمسلمين، فأقاموا مع خير جار في خير دار كما تقول أم سلمة رضي الله عنها [٣].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١ / ٢١٥.

(٢) [سورة مريم آية (١)].

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٣٧.

التحليل: -إن مسارعة قريش لإرسال وفد لاستعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة تدل على إدراكها لخطورة الموقف إذا ما حصل المسلمون على مأوى لهم يأمنون فيه، والحبشة نصرانية، وملكها عرف بالعدل، وهي قريبة من مكة، وكل ذلك يشكل خطرًا على قريش في المستقبل.

لقد فتحت جبهة جديدة لقريش انهزمت فيها معنويًا وسياسيًا وإعلاميًا أمام ضربات المسلمين الموفقة، وخطواتهم المتزنة، وأساليبهم الرصينة من أجل تبليغ دعوة الله وإبلاغ رسالته.

فهذا هو جعفر ﷺ قاوم حملة قريش الإعلامية المضللة بكل دقة وموضوعية وصدق ، ونقل الأخبار والحقائق من مصادرها، فأعلن رضي الله عنه ما سمعه من النبي ﷺ ردًا على سؤال النجاشي في أمر عيسى عليه السلام دون مداهنة أو موارية أو نفاق، لقد تلألأ وجه النجاشي بالإيمان الصادق دون بطارقته وقال للمهاجرين: (اذهبوا فأنتم اليوم بأرضي آمنون، من سبكم غرم -كررها ثلاثًا-، ما أحب أن لي دبرًا [1] من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم. ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه).

لقد قاد المعركة السياسية والدعوية والعقدية جعفر بن أبي طالب، وكان صادق اللهجة، فصيح اللسان، قوي البيان، فتأثر النجاشي من قوله وخابت آمال قريش، وظهرت ملامح الإيمان في وجه النجاشي.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٧- ٣٣٨)،. دلائل النبوة للبيهقي: جماع أبواب المبعث ،باب الهجرة الأولى إلى الحبشة ٢ / ٧٣ .

وهكذا رجع وفد قريش خائباً بالذل والهوان والخسران وقد امتلأت القلوب حقدًا وغيظًا على الإسلام والمهاجرين الذين اطمأنوا في عبادتهم، ونشر دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما آمن النجاشي ملك الأحباش وكسبت الدعوة أنصارًا جددًا، وتوسعت دائرة المسلمين وكسبوا معارك سياسية وإعلامية، ودعوية بتوفيق الله تعالى لهم [١].

و بقى المسلمون في الحبشة إلى أن استقر الإسلام في المدينة فهاجر بعضهم إليها وبقى جعفر ومن معه إلى فتح خيبر سنة ٧هـ. [٢]

الدروس والعبر و العظات :

لقد كانت هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة ذات أبعاد سياسية وإعلامية ودعوية، وكان اختيار النبي ﷺ للحبشة في غاية الدقة وبعد النظر؛ لأنه (التفت ﷺ إلى ما يحيط به من الداخل والخارج، وما ينتظر دعوته من أخطار، فوجد أن جذورها قد امتدت في أعماق الجزيرة العربية، بين مؤمن قوى الإيمان، وبين كافر معاند شديد الحرص على زعامتها، عظيم الحقد على الدعوة وصاحبها).

وأما خارج الجزيرة، فتوجد إمبراطورية فارس وقد أعماها دخان النار، وإمبراطورية الروم وقد عبدوا الملوك ودنياهم، أما الحبشة فما يزال بها بعض وميض من صدق رسالة عيسى عليه السلام، وأن بها ملكًا لا يُظلم أحد بأرضه [٣].

---

(١) انظر: الوفود في العهد المكي ص (١٢٣).

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/١٧٦).

(٣) انظر: الوفود الإعلامية في العصر المكي لعلى الأسطل، ص(١١١).

وهذا يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بما يدور حوله ومعرفة الدول وطبائعها.

ولقد كانت الهجرة وسيلة من أهم وسائل الإعلام في الإسلام؛ لأن مجرد خروج المسلمين من بلد كانوا فيه منذ النشأة، يخلق تساؤلاً كبيرًا في المجتمع المليء بالكذب والأراجيف والمتخصص في تشويه أخبار الدين الجديد، خرجوا وقد تركوا تساؤلاً في أذهان الناس: ما الذي حملهم على ترك أوطانهم وأموالهم وأهليهم؟ إنه لأمر عظيم.

لقد خرج الوفد الإعلامي الإسلامي الأول للحبشة بخطة محكمة وتدبير مقصود لنشر الدعوة الإسلامية وإعلانها في كل مكان، حيث إن الرسول ﷺ أرسل كتابًا للنجاشي يشير فيه إلى البر بالمسلمين ويدعوه فيه إلى الإسلام [1].

وهكذا نرى أن اختيار الزمن والمكان لم يكن لمجرد الصدفة والهروب من شدة العذاب فقط، بل كان بعضهم في حماية قبيلة قوية يستطيع البقاء في مكة دون إيذاء مهلك[2].

وهكذا كان الوفد الإسلامي الأول أشبه بسفارة في أيامنا الحاضرة لكنها تحمل شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتعمل جاهدة على نشره، ويمكن ذكر أهداف هجرة المسلمين إلى الحبشة مجملة فيما يلي :

١ - حماية المستضعفين من أذى قريش.

٢ - دفع غربتهم المعنوية.

٣ - تأمينهم على دينهم.

٤ - فتح آفاق جديدة للدعوة إلى الله يشرف عليها المهاجرون.

٥- الحط من مكانة قريش عند سائر العرب، وإدانة موقفهم من

---

(١) انظر: الوفود الإعلامية في العصر المكي لعلى الأسطل، (١١٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (١١٥).

الدعوة وحَمَلتها، وهذا يجعل الأحباش يسبقون قريشًا ويؤون من طَـرَدَتْهم وأساءت إليهم من أشراف الناس، ومن ضعفائهم وغربائهم .

وهذه كلها آثار إيجابية، لا يضير أن يوجد إلى جوارها آثار سـلبية قليلة، منها:

أن إيواء الحبشة للمسلمين وطيب مقامهم بها أذكى نار الحقـد لـدى قريش، فضاعفت من حربها ومكرها، وعداوتها[1].

يقول الدكتور البوطي: "تأخذ من حديث هجرة المسلمين إلى الحبشـة ثلاث دلالات :

<u>الدلالة الأولى</u> - إن الدين والاستمساك به وإقامة دعائمـه ، أسـاس ومصدر لكل قوة ، وهو السياج لحفظ كل حق من مـال وأرض وحريـة وكرامة ، ومن أجل هذا كان واجب الدعاة إلى الإسلام و المجاهدين فـي سبيله أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية الدين ومبادئـه ، وأن يجعلـوا مـن الوطن والأرض و المال و الحياة وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها ، حتى إذا إقتضى الأمر بذل ذلك كله في سبيلها وجب بذله.

<u>الدلالة الثانية</u> - إن من أسس الدعوة الإسلامية التضحية بالمـال و الوطن و الحياة في سبيله ، فبذلك يضمن المسلمون لأنفسهم المال و الوطن و الحياة .

ومن أجل هذا شرع مبدأ الهجرة في الإسلام ، فأشـار الرسـول ﷺ على أصحابه - بعد أن نالهم من أذى المشركين ما خشي عليهم معه فتنتهم في الدين - إلى الهجرة والخروج من الوطن .

<u>الدلالة الثالثة</u> - أنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا فـي حمايـة غيـر

---

(١) انظر: الغرباء الأولون ص (١٧١).

المسلمين إذا دعت الحاجة الى ذلك ، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانياً ، ولكنه أسلم بعد ذلك ، أو كان مشركاً كأولئك الذين عادوا الى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة، وكأبى طالب عم الرسول ، وكالمطعم ابن عدى الذى دخل الرسول ﷺ مكة في حمايته عندما رجع من الطائف[١].

المطلب الرابع : وفد بني مخزوم إلى يثرب :

قال ابن إسحاق: (حدثنا نافع مَوْلَى عَبْدِ اللّه بْنِ عُمَرَ ،عَنْ عَبْدِ اللّه بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ﵁، قَالَ :اتّعَدْتُ لَمّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إلَى الْمَدِينَةِ ، أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ السّهْمِيّ التّناضِبَ[٢]مِنْ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ[٣]، فَوْقَ سَرِفٍ[٤]، وَقُلْنَا : أَيّنَا لَمْ يُصْبِحْ

---

(١) راجع فقه السيرة للبوطي ص ٩٨ - ١٠٠.

(٢) التناضب: قال أبو ذر: بضم الضاد، موضع ومن رواه بالكسر: فهو جمع تنضب: وهو شجر واحدته تنضبة، التَّنْضُبُ شجر ضخامٌ، ليس له ورق، وهو يُسَوِّقُ ويَخْرُجُ له خَشَبٌ ضخامٌ وأفنانٌ كثيرة، وإنما ورقُهُ قُضبان، تأكله الإبل والغنم.(لسان العرب١ / ٣٤١)

وقال السهيلي: " بكسر الضاد كأنه جمع تنضبة، وهو ضرب من الشجر تألفه الحرباء.وذكره أبو حنيفة في النبات.وقال ياقوت: تنضب قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة فيها عين جارية ".(لسان العرب١ / ٣٤١ - ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١ / ٢٤٧)

(٣) أضاة: هي الغدير يجمع من ماء المطر.يمد ويقصر قاله أبو ذر ، وقال السهيلي: الاضاة: الغدير كأنه مقلوب من وضأة على وزن فعلة واشتقاقه من الوضاء وهي النظافة، وجمع الاضاءة إضاء.

وقال السهيلي: اضاة بني غفار، على عشرة أميال من مكة.أما ياقوت فقال: موضع قريب من مكة فوق سرب قرب التناضب، له ذكر في حديث المغازي، وغفار: قبيلة من كنانة. . (النهاية ١ / ٥٣ ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١ / ١٩٨)

(٤) سرف: بفتح أوله وكسر ثانيه على بعد ستة أميال من مكة (معجم البلدان ١ / ٢٨٧)

عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ . قَالَ عمر ﷺ فَأَصْبَحْت أَنَا وَعَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضُبِ، وَحُبِسَ عَنَّا هِشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ[1].

تَغْرِيرُ أَبِي جَهْلٍ وَالْحَارِثِ بِعَيَّاشٍ:

فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إلَى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا ، حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَكَلَّمَاهُ وَقَالَا : إنَّ أُمَّك قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَاك ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَاك ، فَرَقَّ لَهَا ، فَقُلْت لَهُ يَا عَيَّاشُ إنَّهُ وَاَللَّهِ إنْ يُرِيدُك الْقَوْمُ إلَّا لِيَفْتِنُوك عَنْ دِينِك فَاحْذَرْهُمْ فَوَاَللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أُمَّك الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلَّتْ . قَالَ فَقَالَ أَبَرّ قَسَمَ أُمِّي ، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ [2] .

قال عمر بن الخطاب ﷺ فَقُلْت : وَاَللَّهِ إنَّك لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا ، فَلَك نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا . قَالَ فَأَبَى عَلَيَّ إلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا ؛ فَلَمَّا أَبَى إلَّا ذَلِكَ قَالَ قُلْت لَهُ أَمَا إذْ قَدْ فَعَلْت مَا فَعَلْت ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ فَالْزَمْ ظَهْرَهَا ، فَإِنْ رَابَك مِنْ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا [3].

ولقد حدث هذا مع غفلة فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا ، حَتَّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَا ابْنَ أَخِي ، وَاَللَّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا ، أَفَلَا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِك هَذِهِ ؟ قَالَ بَلَى . قَالَ فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ ، وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ آلِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : أَنَّهُمَا حِينَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٧٤

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٤٧٥- وانظر البداية والنهاية ٣ /١٧٢.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٤٧٥.

دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ دَخَلَا بِهِ نَهَارًا مُوثَقًا ، ثُمّ قَالا : يَا أَهْلَ مَكّةَ ، هَكَذَا فَافْعَلُوا بِسُفَهَائِكُمْ كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِيهِنَا هَذَا[١].

وقد كان لهذا الخبر ردة فعل عظيمة في جنبات مكة ، وكان لا بد من فعل مضاد تغطي أخباره الإعلامية الصادقة الأثر الذي تركه الخبر الأول في نفوس المؤمنين والكافرين على السواء [٢].

فما كان من رسول الله ﷺ بعد هجرته إلا أن يقول : " مَنْ لِي بِعَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : أَنَا لَك يَا رَسُولَ اللّه بِهِمَا ، فَخَرَجَ إلَى مَكّةَ ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا ، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ اللّهِ ؟ قَالَتْ أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ - تَعْنِيهِمَا - فَتَبِعَهَا حَتّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا ، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ فَلَمّا أَمْسَى تَسَوّرَ عَلَيْهِمَا ، ثُمّ أَخَذَ مَرْوَةً فَوَضَعَهَا تَحْتَ قَيْدَيْهِمَا ، ثُمّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا ، فَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِهِ " ذُو الْمَرْوَةِ " لِذَلِكَ، ثُمّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ وَسَاقَ بِهِمَا ، فَعَثَرَ فَدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ فَقَالَ:

هَلْ أَنْتِ إلا أُصْبُعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللّهِ مَا لَقِيتِ

ثُمّ قَدِمَ بِهِمَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ[٣] .

فهذا درس عملي أمام رجال الدعوة في الإخلاص والإيثار بالنفس في سبيل نشر الإسلام لتكون كلمة الله ﷻ هي العليا على الباطل في كل زمان ومكان [٤].

---

(١) انظر المصدر السابق ١ / ٤٧٥ .

(٢) راجع الوفود في العهد المكي ص ١٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٤٧٦ .

(٤) الوفود في العهد المكي ص ١٢٦.

المبحث الرابع
وفود قادمة إلى مكة

المطلب الأول :الوفادة الأولى لنصارى نجران:

كان لنصارى نجران وفادتان:- الأولى: قبل الهجرة.

والثانية: بعد الفتح في السنة العاشرة من الهجرة .

ولقد تضاربت الآراء بين علماء السير، هل الوفادة كانت لنصارى نجران أم لنصارى الحبشة ؟

يقول ابن هشام(١): " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ ، عِشْرُونَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنْ النَّصَارَى ، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنْ الْحَبَشَةِ ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ،فَجَلَسُوا إلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ ،وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ... وَيُقَالُ إنَّ النَّفَرَ مِنْ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ ، فَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ ...)

ويفهم من ذلك أنه لم يقطع لنا برأي .

ويقول ابن حجر العسقلاني :"إن أول من قدم على الرسول ﷺ بمكة هم نصارى نجران وكانت لهم وفادتان: إحداهما قبل الهجرة في السنة التاسعة بعد البعثة،والثانية بعد الفتح "(٢).

والرأي الراجح في ذلك ما ذكره ابن حجر وذلك لتردد ابن هشام في رأيه ، وكذلك للمنطق العقلي والنقلي حيث أن الوفود الإسلامية ذهبت متتابعة لتقيم مع نصارى الحبشة منذ السنة الخامسة بعد البعثة النبوية ، وتحمل إليهم البشرى بدين الله سبحانه وبخاتم النبيين ، فأكرم النجاشي ملك

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩١.

(٢) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ٨ / ٦٧ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

الحبشة وفادتهم بعد مناقشات مثيرة ودخل على إثرها في الإسلام .[١]

فلا داعي اذن لقدوم وفد نصارى الحبشة للاستفسار والمناقشة ،بل الأولى القدوم لنصارى نجران .

المحادثات التي دارت بين الرسول ﷺ وهذا الوفد :

لما قَدِمَ الوفد عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ وَهُوَ بِمكّةَ ، وَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وكَلّمُوهُ وسَأَلُوهُ، ورِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ؛

فَلَمّا فَرَغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللّه ﷺعَمّا أَرَادُوا ، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى اللّه عَزّ وَجَلّ وَتَلا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ .

رد فعل الوفد على رسول الله ﷺ : فَلَمّا سَمِعُوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله سبحانه وآمنوا وصدقوه وعرفوا منه ما كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ [٢].

المطلب الثاني : وفد قريش ومسلمي نجران :

لما قدم وفد نجران المسلم من عند رسول الله ﷺ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُمْ خَيَّبَكُمْ اللّهُ مِنْ رَكْبٍ بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرّجُلِ فَلَمْ تَطْمَئِنّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدّقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ ،مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ " ،فَقَالُوا لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَمْ نَأْلُ أَنْفُسَنَا خَيْرًا[٣] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩١ البداية والنهاية ٣ / ٨٢ – وانظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٨٧ للشيخ أبو زهرة.

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩٢ البداية والنهاية ٣ / ٨٢ .

التحليل :

وهكذا كانت صناديد قريش لا تريد أن ترى الحق منتصراً ، ويحزنها تدعيم قوته وبناء كيانه فنرى ذلك واضحاً في مقولة أبي جهل ومن معه لمن أسلم من نجران ، :"مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ " فكان رد عباد الرحمن المسلمين من نجران طيباً جميلاً بما وصفوا به في القرآن الكريم قال تعالى:﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً** ﴾[الفرقان آية: (٦٣)]

ما نزل فيهم من القرآن الكريم :

قد ذكر الله ﷻ خبر هؤلاء في القرآن الكريم مبيناً له بالإشارة في وصف عام لبعض أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ *أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ** ﴾[1].

قال السيوطي :" أخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: "خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم رفاعة " (يعني أباه)إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا فنزلت ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**﴾ [2]وقد رجح الأكثرون أن هذه الآيات نزلت في نصارى نجران [3].

---

(١) [سورة القصص الآيات ٥٢ – ٥٥]

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص ١٦٥ لجلال الدين السيوطي .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٣٩٢ البداية والنهاية ٣ / ٨٢ – وانظر خاتم النبيين العهد المكي ص ٥٧٩ .

هكذا نزلت هذه الآيات حجة دامغة على صدق الدين الجديد الذي جاء به محمد ﷺ هذا البيان الإلهي عبارة عن جولة أخرى تعرض على قريش دلائل الصدق فيما جاءهم به الرسول ﷺ وكيف يتلقاه فريق من أهل الكتاب بالإيمان واليقين ، بينما هم يتلقونه بالكفر والجحود.[١]

وهكذا كان هذا الوفد المسلم الذي آمن بمحمد ﷺ على مسمع ورؤية من قريش صفعة قوية في وجوههم ، ولبنة طيبة في صرح الدين الجديد ، أثار حقدهم وحسدهم ، لأنه شهادة اليقين أمام أعين الناس على صدق ما جاء به رسولهم ﷺ وأنهم مهما ضيقوا على دعوة الله ﷻ وعذبوا أصحابها وتآمروا على انتشارها ، فلا بد لها أن تنتصر على الباطل ، وسيأتيها الولاء والتأييد من الداخل والخارج.

ذكر ابن القيّم في قصّة وفد نصارى نجران وما اشتملت عليه من فوائد ما نصّه :

جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجّة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلاّ عاجز عن إقامة الحجّة ، فليؤدّ ذلك إلى أهله " أي القادرين عليه [٢]"

وقال الشّوكانيّ عند تفسير قوله تعالى:﴿ **ما يُجَادِلُ في آياتِ اللَّـهِ إلاّ الَّذينَ كَفَرُوا** ﴾[٣] ، أي ما يخاصم في دفع آيات اللّه وتكذيبها إلاّ الّذين كفروا ، والمراد : الجدال بالباطل ، والقصد إلى دحض الحقّ ، فأمّا الجدال

---

(١) الوفود في العهد المكي ص ١٣٠ .

(٢) زاد المعاد ٣ / ٥٥٨

(٣) [غافر آية: (٤)].

لاستيضاح الحقّ ، ورفع اللّبس ، وتمييز الرّاجح من المرجوح ، ودفع ما يتعلّق به المبطلون ، فهو من أعظم ما يتقرّب به المتقرّبون [١].

المطلب الثالث : وفدا همدان:

كانت لهمدان وفادتان الأولى قبل الهجرة بمكة والثانية في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح مكة .

الوفادة الأولى: أشخاص الوفد :

وفد قبيلة همدان هو[٢]:" قيس بن عمرو بن مالك بن سعد بن لؤي الهمداني الأرحبي "ممثلاً عن أشياخهم للقاء رسول الله ﷺ في مكة .

سبب مجيء الوفد ومحادثات الهجرة :

يقول ابن سعد في طبقاته [٣] :" قدم قيس بن مالك بن سعد بن لؤي الأرحبي على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو بمكة فقال: يا رسول الله أتيتك لأومن بك وأنصرك، فقال له: مرحباً بك، أتأخذوني بما في يا معشر همدان، قال: نعم بأبي أنت وأمي! قال: فاذهب إلى قومك فإن فعلوا فارجع أذهب معك،فخرج قيس إلى قومه فأسلموا واغتسلوا في جوف المحورة وتوجهوا إلى القبلة، ثم خرج بإسلامهم إلى رسول الله، ﷺ، فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك، فقال النبي، ﷺ، نعم، وافد القوم قيس! وقال: وفيت وفى الله بك! ومسح بناصيته ،وكتب عهده على قومه همدان أحمورها وغربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا، وأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ﷺ ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة .

---

(١) فتح القدير ٦ / ٣١٠

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٣٤٠ دار بيروت للطباعة سنة ١٣٧٩ هـ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٣٤١ .

التحليل : فرح وافد القوم كثيراً للشرف العظيم الذي أحاطه به رسول الله ﷺ، وهو الهجرة معه إلى بلاد قومه ، وشرط ذلك بقبول قومه أن يمنعوه ، وأن يأخذوه بما عنده من الحق والبلاغ المبين لإعلان كلمة التوحيد وحمايتها من الباطل. فأوجس الشيطان في قلوب قومه خيفة على الرغم من أنهم دخلوا الإسلام باختيارهم دون إكراه ورضوا بأدنى الخير، وتركوا أفضله مع أن قيساً رغبهم في ذلك لنصرة الدين الجديد وحماية رسول الله ،ولكن لم يكن لهم في التشريف نصيب ، ولا في الخلود التاريخي حظ ، حيث رجع قيس بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ بنفسه فقط، ولم يفد معه أحد لإتمام المبايعة والنصرة اللازمة في مثل هذه الظروف الصعبة الخطرة، حيث قال قيس:" قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك"

فيستفاد من قوله هذا أنه لم يحضر معه أحد ، ولكنهم طلبوا من وافدهم إحضاره دون مواثيق وعهود ، للاستمرار في دعوة الحق ، وإظهار دين الله في كل مكان وتحمل جميع ألوان الأخطار من الدمار والهلاك والموت.

وهذا خلاف مبايعة الأنصار رضوان الله تعالى عليهم حيث بايعوه على حمايته ومنعه مما يمنعون منه نسائهم غير مبالين بهلاك الأموال وقتل الأشراف. لذلك نرى أن رسول الله ﷺ لم يرجع مع قيس ﷺ وقد اسلموا لأن شرطه للرجوع والذهاب معه لم يتم بالمبايعة والمواثيق والعهود التي يجب أن تكون في مثل هذه الأحوال والظروف الصعبة التي تتطلبها الدعوة الجديدة من إخلاص وفداء . عندئذ اكتفى الرسول ﷺ بتكريم الوافد وتشريفه والدعاء له ومباركته حيث قال: " نعم،وافد القوم قيس! " وقال: "وفّيت وفّى الله بك" ومسح على ناصيته ،وكتب عهده على قومه همدان"

وهكذا خسرت همدان أن تكون بلدهم موطن الهجرة ، وأن تكون محط الأنظار، ومحل شد الرحال .

هكذا نجد من الحكمة النبوية البالغة الأثر في تمهيد السبل أمام أعلاء

راية التوحيد ، إكرام الوافدين وملاطفتهم والدعاء لهم وإرسال من يعلمهم .

وإذا كان الوافد من رؤساء القوم أمَّره عليهم ،وكلفه بإقامة الحق والعدل بينهم كنموذج صالح أمام الأنظار لنشر أخبار الإسلام [١].

المطلب الرابع : قريش ووفود العرب:

اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة ، وقد قرب موسم الحج فقال لهم[٢]:"يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنَّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمُ وَإِنّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ،وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا ، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَرُدّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا ؛ قَالُوا : فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ قَالُوا : نَقُولُ كَاهِنٌ ،قَالَ لَا وَاَللّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلا سَجْعِهِ قَالُوا : فَنَقُولُ مَجْنُونٌ قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ قَالُوا : فَنَقُولُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ لَقَدْ عَرَفْنَا الشّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ فَمَا هُوَ بِالشّعْرِ قَالُوا : فَنَقُولُ سَاحِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ لَقَدْ رَأَيْنَا السّحّارَ وَسِحْرَهُمْ فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلا عَقْدِهِمْ قَالُوا : فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ؟ قَالَ وَاَللّهِ إنّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً ، وَإِنّ أَصْلَهُ لَعَذِقٌ[٣]وَإِنّ فَرْعَهُ لَجُنَاةٌ – قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَال لَغَدِقٌ[٤]– وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إلّا عُرِفَ أَنّهُ بَاطِلٌ وَإِنّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرّقُ بِهِ بَيْنَ

---

(١) الوفود في العهد المكي ص١٣٤ ،١٣٥، ١٣٦ بتصرف .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٢٧٠

(٣) عذق : يشبه النخلة التي ثبت أصلها وطاب ثمرها.[لسان العرب ١ / ١٨٧].

(٤) غدق : كثير الماء والغَدَق، بفتح الدال: المطر الكبار القَطْر.[لسان العرب ١٠ / ٢٨٣].

الْمَرْءِ وَأَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ . فَتَفَرّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ ٠

وكان رسول الله ﷺ[1] (يعرض نفسه في المواسم ، على القبائل ولم يدع فرصة تفوته للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة خاصة في مواسم الحج فيقول:" يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابىء كاذب، فيردون على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أقبح الرد) ٠

و كان عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل يطلب منهم النصرة، إنما هو بأمر من الله ﷻ له في ذلك، وليس مجرد اجتهاد من قبل نفسه، اقتضته الظروف التي وصلت إليها الدعوة.

إن أمثال أبي لهب لا ينعدم في مجتمعات الكفر والانحراف العقدي الصريح ، وهي نماذج من الناس مثل سلوك وتفكير أبي لهب تقف في وجه الدعاة في كل مكان وزمان ، بمثل موقف أبي لهب من ابن أخيه محمد ﷺ ويصدون عن سبيل الحق ويبغونها عوجا بما يتاح لهم من وسائل ، فيصفون دعاة الدين الحق بأنهم دعاة بدعة وضلالة ، ودعاة دين جديد ، ولم يتأثر الرسول ﷺ لموقف عمه أبي لهب ، بل استمر في دعوته ٠ فعلى الدعاة أن لا يتأثروا بواقف المغرضين ٠

وفد قريش والطفيل الدوسي :

قدم الطفيل إلى مكة ، فسار إليه رجال من قريش وَكَانَ الطّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا ، فَقَالُوا لَهُ[2]:"يَا طُفَيْلُ ، إنّك قَدِمْتَ بِلَادَنَا ، وَهَذَا الرّجُلُ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢١٦ – وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٥٨ – ١٥٩

(٢) سيرة ابن هشام١ / ٣٨٢ – ٣٨٣ ، وانظر خاتم النبيين في العهد المكي ص٥٧٧ الشيخ ابو زهرة– وانظر السيرة النبوية ص١٦٢ الشيخ أبو الحسن الندوي– وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٣ /٢ ٩.

الّذي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا ، وَقَدْ فَرّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتّتْ أَمْرَنَا ، وَإِنّمَا قَوْلُهُ كَالسّحْرِ يُفَرّقُ بَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ وَإِنّا نَخْشَى عَلَيْك وَعَلَى قَوْمِك مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا ، فَلا تُكَلّمَنّهُ وَلَا تَسْمَعَنّ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ: فَوَاَللّهِ مَا زَالُوا بِي حَتّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلّمَهُ حَتّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيّ حِينَ غَدَوْتُ إلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا[1] فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ وَأَنَا لا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ .

قَالَ: فَغَدَوْت إلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ. قَالَ فَقُمْت مِنْهُ قَرِيبًا فَأَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ .

قَالَ: فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ: فَقُلْت فِي نَفْسِي : أُمّي ، وَاَللّهِ إنّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيّ الْحَسَنُ مِنْ الْقَبِيحِ ،فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرّجُلِ مَا يَقُولُ فَإِنْ كَانَ الّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَنًا قَبِلْتُهُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ.

[الْتِقَاؤُهُ بِالرّسُولِ وَقَبُولُهُ الدّعْوَةَ]

قَالَ :فَمَكَثْت حَتّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلَى بَيْتِهِ فَاتّبَعْتُهُ حَتّى إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْت : يَا مُحَمّدُ إنّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلّذِي قَالُوا ، فَوَاَللّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوّفُونَنِي أَمْرَك حَتّى سَدَدْت أُذُنَيّ بِكُرْسُفٍ لِئَلّا أَسْمَعَ قَوْلَك ، ثُمّ أَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَك ، ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا ، فَاعْرِضْ عَلَيّ أَمْرَك . قَالَ فَعَرَضَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاَللّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ . قَالَ: فَأَسْلَمْت وَشَهِدْت شَهَادَةَ الْحَقّ، وَقُلْت : يَا نَبِيّ اللّهِ إنّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي ، وَأَنَا رَاجِعٌ إلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إلَى الْإِسْلَامِ فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً

---

(١) الكرسف : القطن وقد جعله وصفا للثياب [النهاية ٤ / ١٩٣ ، ولسان العرب ٩ / ٢٩٧] .

تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً[1] .

[الآية التي جعلت له]

قَالَ: فَخَرَجْت إِلَى قَوْمِي ، حَتَّى إِذَا كُنْت بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ، فَقُلْت : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي ، إِنِّي أَخْشَى ، أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينَهُمْ . قَالَ فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي . قَالَ: فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنْ الثَّنِيَّةِ ، قَالَ حَتَّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ[2].

فلما وصل إلى قومه أعلن إسلامه على الملأ، وأنه آمن بمحمد ﷺ وبالدين الجديد الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى ، وأنه بريء من كل من يخالفه حتى والده وزوجته وأقرب المقربين إليه حتى يدخل الإسلام.

[دَعْوَتُهُ أَبَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ]

قَالَ: فَلَمَّا نَزَلْت أَتَانِي أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ: فَقُلْت : إِلَيْك عَنِّي يَا أَبَتِ فَلَسْتُ مِنْك وَلَسْتَ مِنِّي ،قَالَ وَلِمَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ: قُلْت : أَسْلَمْتُ وَتَابَعْت دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ :أَيْ بُنَيَّ فَدِينِي دِينُك ؟ قَالَ : قَالَ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ . قَالَ ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ . قَالَ: ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي ، فَقُلْت : إِلَيْك عَنِّي ، فَلَسْتُ مِنْك وَلَسْت مِنِّي ، قَالَتْ لِمَ ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، قَالَ: قُلْت : قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَك الْإِسْلَامُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٣ – وانظر خاتم النبيين في العهد المكي ص ٥٧٧ –٥٧٨ الشيخ ابو زهرة. – وانظر البداية والنهاية ٣ / ٩٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٤ ..

واستمر في دعوة قومه بإخلاص ويقين ، فلما أبطئوا عليه استعان برسول الله ﷺ فقال:" اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ،ارْجِعْ إِلَى قَوْمِك فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ . قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرِ . حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرِ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ[1] .

يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله:هكذا كان الأمر فإن أخبار النبي ﷺ ودعوته إلى الحق، كانت تتجاوب أصداؤها في البلاد العربية، ومن العرب من كان يجيء إلى مكة متعرفاً أمر الدين الجديد، ومنهم من يرسل إليه من يتعرف دعوته ونقل خبرها[2]

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٤ - ٣٨٥.

(٢) خاتم النبيين العهد المكي للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٧٦ .

المبحث الخامس
وفود يثرب الإعلامية

المطلب الأول : الطواف على القبائل طلباً للنصرة :

لم يكن أمام الرسول ﷺ عند استحكام العداوة بينه وبين قريش ، وإصرارهم على حربه ، وإباء أهل الطائف نصرته أو الدخول في دعوته ، واستكبارهم عليه إلا أن يعرض نفسه على القبائل الأخرى في موسم الحج وأسواق التجارة يتلو عليهم كتاب الله سبحانه ويدعوهم للتوحيد .

يقول المقريزي: « عرض صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع» وقد استقصى الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة ويقال إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكندة فدعاها إلى الإسلام، ثم أتى كلبًا ثم بني حنيفة ثم بني عامر، وجعل يقول: هل من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني، حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ هذا وأبو لهب وراءه يقول للناس: لا تسمعوا منه فإنه كذاب[1]

ولم يقتصر الأذى على ذلك بل واجه الرسول ﷺ ما هو أشد وأقسى،

فقد روى البخاري في تاريخه والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب أيضًا عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبه، حتى

---

(١) المقريزي في إمتاع الأسماع (١/٣٠، ٣١).

انتصف النهار، فأقبلت جارية بِعُسٍّ من ماء فغسل وجهه ويديه، وقال: «**يا بنية لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة**» فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئة.[١] .

وقد كان أبو جهل، وأبو لهب، لعنهما الله يتناوبان على أذية رسول الله ﷺ عندما يدعو في الأسواق والمواسم، وكان يجد منهما عنتًا كبيرًا، إضافة إلى ما يلحقه من المدعوين أنفسهم.

هكذا كان النبي ﷺ يعرض نفسه علة القبائل في المواسم يشرح لهم الإسلام ، ويطلب منهم الإيواء والنصرة ، حت يبلغ كلام الله ﷻ ولكن اعداء الدين امثال أبي لهب وأبي جهل وقفوا يصدون عن سبيل الله بما يتاح لهم من وسائل ، ومن هنا تحرك النبي ﷺ وفق خطة سياسية دعوية واضحة المعالم ومحددة الأهداف جاءت كما يلي :

أولاً: من أساليب النبي ﷺ في الرد على مكائد أبي جهل والمشركين أثناء الطواف على القبائل:

١ - مقابلة القبائل في الليل:فكان ﷺ من حكمته العالية يخرج لمقابلة القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من المشركين[٢] وقد نجح هذا العمل في إبطال مفعول الدعاية المضادة، التي كانت تتبعها قريش، كلما اتصل الرسول ﷺ بقبيلة من القبائل، والدليل على نجاح هذا الأسلوب المضاد اتصال الرسول ﷺ بالأوس والخزرج ليلا، ومن ثم كانت العقبة

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري ٨/١٤ح ١٩٧٧ ،والطبراني في الكبير ٢٠ /٣٤٢ ح٨٠٥ انظر: المحنة في العهد المكي، ص٥٣٠

(٢) الرحيق المختوم١ /٢٥٦ ، والسيرة النبوية عرض دقائق وتحليل أفكار د . محمد علي الصلابي.

الأولى والثانية ليلاً[١]

٢- ذهاب الرسول ﷺ إلى القبائل في منازلهم: فقد أتى كلبًا وبني حنيفة، وبني عامر في منازلهم[٢]وبذلك يحاول أن يبتعد عن مطاردة قريش، فستطيع أن يتفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة دونما تشويش أو تشويه من قريش.

٣ - اصطحاب الأعوان:كان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يرافقان الرسول ﷺ في بعض مفاوضاته مع بعض القبائل، وربما كانت هذه الرفقة لأجل ألا يظن المدعوون أنه وحيد، ولا أعوان له من أشراف قومه وأقاربه، هذا إلى جانب معرفة أبي بكر ﷺ بأنساب العرب الأمر الذي يساعد الرسول ﷺ في التعرف على معادن القبائل، فيقع الاختيار على أفضلها، لتحمل تبعات الدعوة.

٤- التأكد من حماية القبيلة:ومن الجوانب الأمنية المهمة، سؤاله ﷺ عن المنعة والقوة لدى القبائل، قبل أن يوجه إليهم الدعوة، ويطلب منهم الحماية فقوة ومنعة القبيلة التي تحمي الدعوة شيء ضروري ومهم لا بد منه، لأن هذه القبيلة ستواجه كل قوى الشر والباطل، فلا بد أن تكون أهلاً لهذا الدور من حيث الاستعداد المعنوي والمادي، الذي يرهب الأعداء، ويحمي حمى الدعوة، ويتحمل تبعات نشرها، مزيلاً لكل العقبات التي تقف في طريقه.

ثانيًا:المفاوضات التي أجراها الرسول ﷺ مع بعض القبائل:

١ - **المفاوضات مع بني عامر**:اختار الرسول ﷺ أن يجري

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤٤/٢، ٥٢) السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص١١٦

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، (١٤٠/٣).

مفاوضات مع بني عامر قامت تلك المفاوضات على دراسة وتخطيط، فالرسولﷺ وصاحبه أبو بكر ﷺ كانا يعلمان أن بني عامر قبيلة مقاتلة كبيرة العدد وعزيزة الجانب، بل هي من القبائل الخمس التي لم يمسها سباء(سبي) ولم تتبع لملك ولم تؤد إتاوة مثلها مثل قريش وخزاعة كما أن الرسول ﷺ كان يعلم أن هنالك تضادًا قديمًا بين بني عامر وثقيف، فإذا كانت ثقيف امتنعت عليه من الداخل فلماذا لا يحاول أيضا تطويقها من الخارج، والاستفادة في من بني عامر بن صعصعة، فإذا استطاع النبي ﷺ أن يبرم حلفًا مع بني عامر فإن موقف ثقيف سيكون على حافة الخطر يذكر أصحاب السيرة أن الرسول ﷺ لما أتى بني عامر بن صعصعة، فدعا إلى الله، وعرض عليهم نفسه، قال له رجل منهم يقال له بَيْحَرة بن فِراس: «والله لو أني أخذت هذا الفتى لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «**الأمر لله يضعه حيث يشاء**» قال: فقال له: أَفَنُهدفُ نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمير لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه [1] .

التحليل : - رفض النبي ﷺ أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها أي ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان، على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمون من نصرة، وتأييد للدعوة الإسلامية؛ وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها، ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه، هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية، وليس طمعًا في نفوذ أو

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام، (٣٨/٢). وراجع السيرة النبوية للصلابي ١ / ٣٥٠

رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء، هي التي تكيف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلا بد إذن من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله، ألا يشترط عليها منصبًا أو عرضًا من أعراض الدنيا؛ لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء، والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل، فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبه[1].

٢ - **المفاوضات مع بني شيبان**:ففي رواية علي بن أبي طالب ﷺ قال: لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه.. إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غُرَر الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى. وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة، ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر:

---

(١) انظر: وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالي، ص٧٢٠

إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فها هو ذا، فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد» فقال مفروق، وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة أن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى -وأسلم بعد ذلك-: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة، في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَين أحدهما اليمامة والآخر السَّمامة فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان» قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنا إنما

---

(١) [الأنعام آية: ١٥١].

نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، أن لا نحدث حدثًا ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك[1].

التحليل :-

هكذا كانت صفات النصرة التي طلبها النبي ﷺ لدعوته من زعماء القبائل، وذلك على النحو التالي:

١- أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه، يعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها[2].

إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى لو أراد القبض على رسول الله ﷺ وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى، لو أراد مهاجمة محمد رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/١٤٣: ١٤٥) وفيها زيادات ليست عند الصالحي في سُبُل الرشاد (٢/٥٩٦: ٥٩٧).

(٢) انظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/٤١٢). السيرة النبوية للصلابي ١ / ٣٥٤

٢- «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه» كان هذا الرد من النبي ﷺ على المثنى بن حارثة حين عرض على النبي ﷺ حمايته على مياه العرب دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة، يـرَ بُعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى[١].

٣- كان موقف بني شيبان يتسم بالإريحية والخلق والرجولة، ويـنم عن تعظيم هذا النبي، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدى قدرة الحماية التي يملكونها، وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقدر الله لشيبان بعد عشر سنين أو يزيد، أن تحمل هي ابتداء عبء مواجهة الملوك بعد أن أشرق قلبها بنور الإسلام، وكان المثنى بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار، الذي قاد الفتوح في أرض العراق، في خلافـة الصـديق رضي الله عنه ، فكان وقومه من أجرأ المسلمين بعد إسلامهم علـى قتـال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرهبون الفرس ولا يفكرون في قتالهم، بل إنهم ردوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد قناعتهم بهـا لاحتمـال أن تلجئهم إلى قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبدا، وبهذا نعلـم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا، حيث جعلهـم سـادة الأرض مع ما ينتظرون في أخراهم من النعيم الدائم في جنات النعيم[٢].

إِسْلَامُ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ وَقِصَّةُ أَبِي الْحَيْسَرِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[٣]: وَحَدَّثَنِي الْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَـعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، قَالَ لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِـعٍ ، مَكَّـةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ

---

(١) انظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان، ص٥٣,٠ ، ص٦٤

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (٦٩/٣).السيرة النبوية للصلابي ٣ / ٣٥٥

(٣) رواه بإسناد حسن : ابن هشام ٢ / ٨٠ - ٨١ ، ورواه غيره من طريقه.

عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ الْخَزْرَجِ سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ قَالَ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ . قَالَ :فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا : أَيْ قَوْمِ هَذَا وَاَللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ قَالَ فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا . قَالَ فَصَمَتَ إِيَاسٌ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا .

ومما خاطب به رسول الله ﷺ الناس في هذا الموقف ما روي عن جابر بن عبد الله قال: **كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : " هل من رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي "، فأتاه رجل من همدان فقال : " ممن أنت ؟ " فقال الرجل : من همدان قال : " فهل عند قومك من منعة ؟ " قال : نعم ، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : آتيهم ، فأخبرهم ، ثم آتيك من عام قابل ، قال : " نعم " ، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب** [1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٣٩٠ بإسناد صحيح، والحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين ح : ٤١٦١وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وهذا يدل على أن الحادثة جرت في العام الحادي عشر من البعثة فإن الأنصار قد قدموا في العام الحادي عشر من البعثة حيث جرت بيعة العقبة الأولى ، ثم في العام الثاني عشر حيث جرت بيعة العقبة الثانية ، ثم بيعة العقبة الثالثة وهي ما يسمى بيعة الحرب في السنة الثالثة عشر من البعثة ثم الهجرة إلى المدينة

المطلب الثاني : وفد العقبة الأولى سنة ١١ من البعثة .

مقابلة الأنصار ودعوتهم:

كانت الأنصار تحج كغيرها من العرب، دون اليهود. فلما رأى الأنصار رسول اللّه ﷺ يدعو الناس إلى اللّه. وتأملوا أحواله. قال بعضهم لبعض تعلمون واللّه يا قوم أن هذا الذي توعدكم به اليهود. فلا يسبقنكم إليه وقدر اللّه بعد ذلك. أن اليهود يكفرون به.

يذكر جابر بن عبد الله النصاري قال: **مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة في المواسم بمنى ، يقول من يؤويني، من ينصرني ،حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى أن الرجل ليخرج من اليمن، أو من مضر ،كذا قال، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع ،حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدقناه ،فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام**[1].

فكان ممن قيد اللّه لرسوله أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٣٢٢ بإسناد حسن كما يقول الحافظ ابن حجر(فتح الباري٧ /٢١٢)

يهود المدينة: أن نبيا يبعث في هذا الزمان فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد .

أشخاص الوفد: قال ابن إسحاق :وهم (١) :-

١ - أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ﷺ.

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء -ﷺ .

٣ - رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو [بن عامر] بن زريق الزرقي ﷺ.

٤ - قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم ﷺ.

٥ - عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي ﷺ.

٦ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي ﷺ.

وكان سبب مجيء الوفد طلب النصرة والنجدة من قريش ضد بني عمهم من الأوس ودارت المحادثات بين سول الله ﷺ وبين أعضاء هذا الوفد يحدثنا عنها:ابن إسحاق فيقول: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم " من أنتم ؟ " قالوا نفر من الخزرج.

قال: " أمن موالي يهود ؟ " قالوا نعم ! قال " أفلا تجلسون أكلمكم ؟ " قالوا: بلى.

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٢٩ - ٤٣٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣ / ١٨٣ .

قال:وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كان معهم في بلادهم.

وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا:[لهم] إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله.

قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: إنا د تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك[1].

وهنا نجد الرسول ﷺ فتح حواراً حقيقياً مع رهط الخزرج يدل على أنه خبي بمواقع الناس ومشاعرهم بدأ حواره معهم بالتعرف عليهم لما يجلب ذلك من بالغ المحبة وعظيم الألفة بين القلوب ، بل استأذنهم في الحديث معهم وهذا من تمام اللطف وحسن الخلق مع الناس حتى يفتح قلوبهم لما يقول من الحكمة[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٣١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣ / ١٨٢ تاريخ الطبري ٢/ ٣٥٣ .

(٢) الوفود في العهد المكي ص ١٤٨ .

المطلب الثالث : وفد بيعة العقبة الثانية من الخزرج سنة ١٢ من البعثة:

فلما أراد الله إتمام أمره بنصر دينه، قيض ستة نفر من أهل المدينة للنبي ﷺ فالتقى بهم عند العقبة -عقبة منى- فعرض عليهم الإسلام فاستبشروا وأسلموا، وعرفوا أنه النبي الذي توعدهم به اليهود، ورجعوا إلى المدينة، فأفشوا ذكر النبي ﷺ في بيوتها[١] وكان هذا هو (بدء إسلام الأنصار) كما يسميه أهل السير [٢].

جرت بيعة العقبة الأولى في العام التالي من لقاء وفد الخزرج في الموسم التالي من العام الثاني عشر للبعثة ، جاء إلى أداء مناسك الحج اثنا عشر رجلاً من المسلمين من المدينة عشرة من الخزرج واثنان من الأوس ، مما يشير إلى أن نشاط وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى لكنهم تمكنوا في نفس الوقت من اجتذاب رجال من الأوس ، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام [٣] .

وهذا تطور مهم لمصلحة الإسلام، فبعد الحرب العنيفة في بُعاث استطاع النفر الستة من الخزرج أن يتجاوزوا قصة الصراعات الداخلية ويحضروا معهم سبعة جددًا، فيهم اثنان من الأوس، وهذا يعني أنهم وفوا بالتزاماتهم التي قطعوها على أنفسهم في محاولة رأب الصدع، وتوجيه التيار لدخول الإسلام في المدينة، أوسها وخزرجها، وتجاوز الصراعات القبلية القائمة.

---

(١) انظر: ابن هشام (٤٤/١).وراجع السيرة النبوية للصلابي ١ / ٣٥٨

(٢) نفس المصدر لابن هشام(٣٩/١: ٤٤).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١ / ١٩٧ .

أشخاص الوفد[١].

١ - أسعد بن بينها بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو أمامة ﷺ.

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - ﷺ .

٣- معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفراء - ﷺ .

٤ - رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو [بن عامر] بن زريق الزرقي ﷺ

٥ - ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر ابن زريق ﷺ

٦ - عبادة بن الصامت بن قيس أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ﷺ.

٧ - يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ﷺ

٨ - العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن عجلان ﷺ.

٩ - عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي ﷺ.

١٠ - قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم ﷺ

١١ - أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك ﷺ.

١٢ - عويم بن ساعده ﷺ

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم ، بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٤٣١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣ / ١٥٠ .

لهذه السفارة شابًا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مُصْعَب بن عُمَيْر العبدرى ﷺ .

وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين فكان يسمة "مقرئ المدينة "، وكان منزله على أبي إمامة - أسعد بن زرارة - [١].

روى ابو داود[٢]، وابن إسحاق[٣]وغيرهما من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن أول من اقام صلاة الجمعة بالمدينة هو أسعد بن زرارة ، وكانوا أربعين رجلاً أمهم مصعب بن عمير. فقد كتب إليه الرسول ليجمع بهم[٤] .

أسلم على يدي مصعب بمعاونة أسعد بن زرارة أكثر أهل المدينة ولذا يسمى فاتح المدينة[٥].

وممن اسلم من أشرافهم : أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ واسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل الرجال والنساء[٦] إلا أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، واسلم حينئذ وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة واحدة فأخبر عنه النبي ﷺ فقال :" عمل قليل

---

(١) الرحيق المختوم ، ابن إسحاق ، بدون إسناد " ابن هشام ٢ / ٨٦

(٢) أبو داود في السنن كتاب الصلاة ، باب الجمعة في القرى ١ / ٦٤٥ - ٦٤٦ ح ١٠٦٩ .

(٣) بإسناد حسن" لابن هشام ٢ / ٨٧ .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ، باب في فرض الجمعة ح ١٠٧٨،المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة ذكر مناقب أسعد بن ح ٤٨١١ وقال ابن كثير في البداية ٣ / ٦٦ وفي إسناده غرابة والله أعلم.

(٥) انظر: الدعاة والتخطيط، د. محمد عبد الله الخطيب، ص٥٩-٦١.

(٦) روى خبر إسلام أسيد ومعاذ وبني عبد الأشهل ابن إسحاق بإسناد حسن " ولكنه مرسل ، لأنه موقوف على عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المغيرة بن المعيقب ، ابن هشام ٢/ ٨٨ - ٩٠) .

وأجر كثير" [١].

وهكذا أقام مصعب في منزل أسعد يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون [٢].

وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار الإسلام في المدينة منها:

أ- ما طبع الله عليه قبائل الخزرج والأوس من الرقة واللين، وعدم المغالاة في الكبرياء وجحود الحق، وذلك يرجع إلى الخصائص الدموية والسلالية التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين وفد وفد من اليمن بقوله:«**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا**»[٣]وهما ترجعان في أصليهما إلى اليمن، نزح أجدادهم منها في الزمن القديم[٤].

ب- ومنها التشاحن والتطاحن الموجودان في قبيلتي المدينة، الأوس والخزرج، وقد قامت بينهما الحروب الطاحنة كيوم بُعاث[٥] وغيره، وقد أفنت هذه الحرب كبار زعمائهم ممن كان نظراؤهم في مكة والطائف وغيرها، حجر عثرة في سبيل الدعوة، ولم يبقَ إلا القيادات الشابة الجديدة المستعدة لقبول الحق، إضافة إلى عدم وجود قيادة بارزة معروفة يتواضع الجميع على التسليم لها،

---

(١) روى تأخر أسلامه وقصته يوم أحد وصرح باسمه ابن إسحاق في كتاب السير والمغازي ، بإسناد صحيح ، كما ذكر ابن حجر في الفتح ١١ / ٢٨٦ وروى قصته يوم أحد ولم يصرح باسمه البخاري في الفتح ٢٨٦/١١ ح ٢٨٠٨ ومسلم ٣ / ١٥٠٩ ح ١٩٠٠ .

(٢) رواه ابن إسحاق مرسلاً :" ابن هشام ٢ /٩١ .

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين، رقم ٤٣٨٨..

(٤) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص١٥٤.

(٥) بعاث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الاوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل.[البداية والنهاية لابن كثير٣ / ١٨١].

وكانوا بحاجة إلى من يأتلفون عليه، ويلتئم شملهم تحت ظله، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «**كان يوم بُعاث يومًا قدمه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجُرِّحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام**»[1].

ج - ومنها مجاورتهم لليهود مما جعلهم على علم - ولو يسير - بأمر الرسالات السماوية، وخبر المرسلين السابقين، وهم في مجتمعهم يعايشون هذه القضية في حياتهم اليومية وليسوا مثل قريش التي لا يساكنها أهل كتاب وإنما غاية أمرها أن تسمع أخبارًا متفرقة عن الرسالات، والوحي الإلهي، دون أن تلح عليها هذه المسألة أو تشغل تفكيرها باستمرار، وكان اليهود يهددون الأوس والخزرج بنبي قد أظل زمانه، ويزعمون أنهم سيتبعونه، ويقتلونهم به قتل عاد وإرم، مع أن الأوس والخزرج كانوا أكثر من اليهود، وقد حكى الله عنهم ذلك في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2].

المطلب الرابع : وفد بيعة العقبة الثالثة سنة ١٣ من البعثة :

ولما انتشر الإسلام في المدينة ،واطمأن المسلمون المهاجرون بين إخوانهم الأنصار، وبقي رسول الله ﷺ في مكة يلاقي عنت قريش وأذاها الذي كان يشتد على مر الأيام ، وصل مصعب رضي الله عنه إلى مكة قبيل الموسم من العام الثالث عشر للبعثة، ونقل الصورة الكاملة التي انتهت إليها أوضاع المسلمين هناك، والقدرات والإمكانات المتاحة، وكيف تغلغل الإسلام في

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الأنصار (٣٦٧/٤)،ح رقم ٣٧٧٧.

(٢) [البقرة آية:(٨٩)] .

جميع قطاعات الأوس والخزرج، وأن القوم جاهزون لبيعة جديدة قادرة على حماية رسول الله ﷺ ومنعته.

كان اللقاء الذي غير مجرى التاريخ في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من البعثة، حيث حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة، حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل، فبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثالثة[1].

قال جابر بن عبد الله الأنصاري :" فقلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا "فقلنا":يا رسول الله نبايعك.

قال:" **تبايعوني والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومه لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة** ".

قال: فقمنا إليه فبايعناه ،وأخذ بيده أسعد بن بينها – وهو من أصغرهم – [أصغر السبعين] فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول ﷺ ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ،وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف. فأما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري١ / ١٩٨ .

على الله ،وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله ٠

قالوا : أمط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها أبدا ٠

قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط ،ويعطينا على ذلك الجنة٠

" وقد نظر العباس رضي الله عنه في وجوه وفد الأنصار ثم قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم ، هؤلاء أحداث" ٠ مما يدل على غلبة الشباب على الوفد(١).

وهكذا بايع الأنصار سول الله ﷺ على الطاعة والنصرة والحب لذلك سماها عبادة بن الصامت بيعة الحرب(٢).

وتقدِّم رواية الصحابي كعب بن مالك الأنصاري – وهو أحدالمبايعين في العقبة الثانية – تفاصيل مهمة ، قال : قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا٠٠٠ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من اوسط أيام التشريق٠٠٠ وكنا نكتم من قومنا من المشركين أمرنا٠٠٠ فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب ثم العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ٠٠ وأسماء بنت عمرو٠٠ فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد

---

(١) مسند أحمد (٣/٣٢٣). حديث : ١٤١٧٠ بإسناد حسن ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ / ٤٦ وقال رواه أحمد والبزار ا ورجال أحمد رجال الصحيح ٠

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٦٣ مسندأحمد (٥/٣١٦). بإسناد صحيح لغيره ٠

المطلب " إن محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا وهو في منعة في بلده إلا أنه أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه - بعد خروجه إليكم - فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة.

قالوا: قد سمعنا ما قلت. فتكلم يا رسول اللّه وخذ لنفسك ولربك ما شئت.

فتكلم رسول اللّه ﷺ وقال :**{أبايعكم على أن تمنعوني - إذا قدمت عليكم - مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. ولكم الجنة}.**

فكان أول من بايعه البراء بن معرور. فقال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا. فبايعنا يا رسول اللّه. فنحن أهل الحرب والحلقة ورثناها صاغرا عن كابر. فاعترضه أبو الهيثم بن التيهان، وقال إن بيننا وبين الناس حبالا ونحن قاطعوها، فهل عسيت - إن أظهرك اللّه - : أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

فتبسم رسول اللّه ﷺ ثم قال: **{لا واللّه بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم. أحارب من حاربتم. وأسالم من سالمتم}** (١) .

طلب الرسول ﷺ منهم اختيار من يتكلم عنهم:

ثم قال رسول اللّه ﷺ: **{ أخرجوا إلي منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم }** فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس "

فكان نقيب بني النجار: أسعد بن زرارة. ونقيب بني سلمة: البراء بن معرور، وعبد اللّه بن عمرو بن حرام. ونقيب بني ساعدة: سعد بن عبادة،

---

(١) أحمد في المسند ، مسند المكيين بقية حديث كعب بن مالك الأنصاري ٤٦٢/٣- حديث : ١٥٤٩٣).

والمنذر بن عمرو. ونقيب بني زريق: رافع بن مالك بن عجلان. ونقيب بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع ونقيب القوافل عبادة بن الصامت. ونقيب الأوس: أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان. ونقيب بني عوف سعد بن خيثمة.

وكان جميع أهل العقبة: سبعين رجلا وامرأتين.

فلما بايعوه صرخ الشيطان بأنفذ صوت سمع قط يا أهل الأخاشب هل لكم في محمد والصبأة معه ؟ قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله ﷺ {هذا أزب العقبة أما والله يا عدو الله لأفرغن لك ثم قال رسول الله ﷺ ارفضوا إلى رحالكم.

فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل مكة غدا بأسيافنا. فقال:" لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعوا".} [1] .

فلما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش. فقالوا: إنه بلغنا أنكم جئتم صاحبنا البارحة تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا. وإن الله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. فانبعث رجال - ممن لم يعلم - يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء والذين يشهدون ينظر بعضهم إلى بعض. [2] .

وهكذا مرت البيعة بسلام وعاد الأنصار إلى المدينة ، ينتظرون هجرة النبي ﷺ إليهم بتلهف كبير ،

---

(١). دلائل النبوة للبيهقي - باب ذكر العقبة الثانية وما جاء في بيعة من حضر الموسم حديث : ٧٠٣ بإسناد جيد

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٤٣٩ - ٤٤٣ ، ٤٤٧ -٤٤٨ بإسناد حسن وقد صححه ابن حبان في صحيحه في فضائل الصحابة ذكر البراء بن معرور ح : ٧١٢١ كما في فتح الباري ٧ / ٢٢١ ،

النتائج والآثار المترتبة على بيعة العقبة:

لقد كان لهذه البيعة نتائج قريبة وأخرى بعيدة ٠ فمن النتائج القريبة :

١. إن الأنصار قد فهموا أن حماية الرسول ﷺ سوف تعرضهم لعداوة واعتداء من المشركين واليهود ٠ وهذا يعني الجهاد على الرغم من أن بنود البيعة لم تنص صراحة على أبعد من ذلك، أي التصدي لمن يقف في طريق الدعوة الإسلامية ٠

٢. إن سعي مشركي مكة للقبض على مسلمي المدينة عندما اتضح لهم أن هناك ثمة تدبيراً منهم لحماية رسول الله ﷺ ، يدل على أن عداء الشرك والكفر للايمان في كل مكان ٠

٣. إن السرية التي أحيطت بهذه البيعة وغيرها دليل على مشروعية أخذ الحذر والحيطة عند تدبير الأمور ، لا سيما الأمور التي تتعلق بمستقبل الدعوة

٤. لقد كانت هذه البيعة الأساس الذي هاجر عليه المسلمون – بمن فيهم الرسول ﷺ – إلى المدينة المنورة ٠

٥. أضحى الإسلام عزيزاً في المدينة ، فاستعلن بإسلامه من كان قد استخفى به ٠

٦. ضيق كفار قريش الخناق على المسلمين عندما عرفوا خطورة اتصال الرسول ﷺ بمسلمي المدينة ٠ وكان هذا التضييق سبباً في تعجيل الرسول ﷺ بأمر هجرتهم إلى المدينة ٠

٧. أما على المدى البعيد ، فقد كانت هذه البيعة الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، وانطلاقها من هناك إلى أنحاء الدنيا ٠[1]

---

(١) انظر من معين السيرة ص ١٣٦ ، وفقه السيرة للبوطي ص ١٣٢ ٠

٨. ولأهمية هذه البيعة ، ولما ترتب عليها من نتائج قريبة وبعيدة فقد كان للمبايعين فيها وفي التي قبلها فضل لا يكاد يقل عما لأهل بدر والهجرتين – هجرة الحبشة وهجرة المدينة – وبيعة الرضوان من شرف وفضل .

٩. إن عداوة الشيطان للحق وتألمه من علو نجمه ظاهرة ماضية فهو دائماً ما يغري أعداء الإسلام بالمؤمنين من أهل المدينة والرسول ﷺ.

١٠. كانت بيعة العقبة الثانية شاملة للمبادئ التي سيتم مشروعيتها بعد الهجرة إلى المدينة ، وفي مقدمتها الجهاد والدفاع عن الدعوة ، وهو حكم وإن لم يكن أذن الله بشرعيته في مكة إلا أن الله عز وجل قد ألهم نبيه محمداً ﷺ أن ذلك سيشرع في المستقبل القريب ، والدليل على ذلك رد الرسول ﷺ على العباس بن عبادة الذي ابدى الاستعداد على حرب أهل منى ، فقال له الرسول ﷺ : " لم نؤمر بذلك ... "

ومن المتفق عليه ان أول آية نزلت في مشروعية الجهاد قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[الحج : آية ٣٩]حيث نزلت عندما قال أبو بكر ﷺ مستنكراً إخراج قريش الرسول ﷺ من مكة : " اخرجوا نبيهم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكن " وعندما نزلت الآية قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال[1].

١١. اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يحملهم واجب القتال ، إلى أن توجد لهم دار إسلام ، تكون لهم بمثابة معقل يأوون عليه ، ولقد كانت المدينة أول دار في الإسلام.[2] هذا من الجهة ، ومن جهة أخرى حتى

---

(٢) الترمذي في السنن ،أبواب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحج ٤ / ١٥١حديث : ٣١٧٨ ، وقال حديث حسن .

(٢) انظر فقه السيرة للبوطي ص ١٣٣ .

يتربوا التربية التي تؤهلهم للجهاد ١٢ . ومن هنا نعلم ان مشروعية القتال في الإسلام لم تكن إلا بعد هجرته على الصحيح وليس كما يفهم من كلام ابن إسحاق [١] ، انه إنما شرع قبل الهجرة عند بيعة العقبة الثانية ، من حديث كعب بن مالك ﷺ .

التحليل : تدل وقائع هذه البيعات الثلاث على الآتي:

١- على مبلغ ودقة الإحكام في التخطيط.

٢- نجحت هذه المرحلة التي تعتبر بمثابة الإعداد والتحضير للهجرة.

٣- دقة اختيار الوقت المناسب لعقد المعاهدة وهو موسم الحج، حتى لا يلفت الأنظار إليه من المشركين المتربصين.

٤- دقة الاختيار في الموعد حيث جعل بعد ثلث الليل، حتى يمكن اجتناب العقبات التي تتوقع من المشركين، وكان هذا الاختيار مساعدا في نجاح الخطة.

٥- تنظيم النبي ﷺ في العقبة الثالثة للأوس والخزرج وجعل من بين السبعين اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وهذا يدل على بعد نظر النبي ﷺ ومقدرته على ترتيب وتنظيم الطاقات.

٦- نلاحظ مراعاة التدرج في تنفيذ الخطة، وهذا يدل على رجاحة عقل المخطط ومراعاته لمقتضيات الأحوال وسنة التدرج للوصول إلى الهدف المنشود.

---

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٩٢ ، ٩٤ .

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث : -

١ - الوفود وسيلة هامة لتبليغ الناس وإخبارهم عن دعوة الإسلام ، ومنهجه الرباني الكامل الشامل لسعادة البشرية ، وحل مشاكلها وانقاذها من الإنحدار السحيق الذي تهوي إليه .

٢- لقد كانت وفود العهد المكي النبوي صابرة على حمل الدعوة الإسلامية دون خوف أو وجل ، وإبلاغها بكل شجاعة في مواطن البأس وثبات في مواطن الشدة لا تزلزل لهم قدم ولا تزعزع لهم ركن ، وانسدت جميع أبواب الخوف في نفوسهم إلا خوف ذنبهم وسخط ربهم .

٣- هذه الوفود ذكرى لكل مؤمن حيث يمثلون الدعوة الإسلامية أداة ومضموناً ، ومصدراً وهدفاً فكانوا أداة الاتصال الشخصي ، وكانوا مضمون القدوة الحسنة الصالحة ، وكانوا مصدر الخير والفلاح لكل من يتأسى بهم في العمل الإعلامي والدعوة . وجعلوا هدفهم إخلاص العبودية لله سبحانه في كل حركة وسكون ، وإنقاذ للبشرية من عبودية العباد على عبادة الله العظيم الواحد القهار .

٤- هذا هو الدور الكبير الرائد الذي قام به المسلمون الأوائل لنشر الإسلام في ربوع العالم ، حيث تحملوا الصعاب ، واستعذبوا الآلام في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى فكانوا هم الجسر القوي الذي عبر عليه الإسلام إلينا لنشره في العالم ، فهم القدوة أمامنا مما يضاعف المسئولية علينا كي نكون أحسن خلفاً لخير سلفاً ، لتبليغ حقائق الإسلام ومزاياه وحمل رايته إلى جميع أنحاء العالم في جهاد متواصل حتى تكون الحاكمية لله سبحانه رب العالمين .

٥ - كان النبي ﷺ في دعوته منتشر، فلم يكن ﷺ يجلس في بيته وينتظر الناس ليأتوا إليه، بل كان ﷺ منتشراً في كل مكان، ففي كل قبيلة وفي كل بطن تجد له أحدا من الناس قد أسلم، ، كان ﷺ يستقبل الوفود، وعندما يحين موعد الحج كان يأتي وفود الحج ، وكان ﷺ يضرب على البيوت، ويأتي على الأسواق والمجالس والنوادي، فالذي يقرأ في السيرة يعجب، لقد كان ﷺ دوامة بالناس، يجول ويصول على المجالس.

فيتبين لنا أنه ﷺ ينتظر ساعة الصفر، فكان يعد العدة... يعد الرجال.

٦- بذل الرسول ﷺ كل ما يملك من جهد لتعبئة الطاقات الإسلامية في المدينة، ولم يكن هناك أدنى تقصير للجهد البشري الممكن في بناء القاعدة الصلبة التي تقوم على أكتافها الدولة الجديدة، واحتمل هذا الجهد سنتين كاملتين من الدعوة والتنظيم.

٧ - إن الله استخلص لنفسه أنفس المؤمنين حقاً ، لتقرير ألوهيته في الأرض وطرد الطواغيت المنازعة لسلطانه في حياة العباد حتى تكون الحاكمية لله في كل مكان .

فنعم البيع ونعم الشراء .... أرواح مؤمنة تبذل بسخاء لتكون كلمة الله ﷻ هي العليا فجعل الله لها سبحانه جنة الفردوس منة وفضلاً ، ورضواناً منه أكبر يوم لقائه : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد آية: (٢١)].

وفي الختام أحمد الله أولاً وآخرًا ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

■ أولا : المصادر القديمة:

القرآن الكريم ٠

١. البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري الجـزء الأول دار إحياء التراث العربي

٢. تاريخ الأمم والملوك لأبن جرير الطبري الطبعة الثانيـة دار المعـارف القاهرة

٣. زاد المعاد في هدي خير العباد / لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبـي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ط. الثالثة ، مؤسسة الرسالة

٤. زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علـي ابن الجوزي (ت ٠ ٥٩٧ هـ) المكتب الإسلامي بيروت ط ١ ١٣٨٤ هـ ٠

٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ تحقيق وتعليق الشـيخ عـادل احمـد عبـد الموجود الشيخ علي محمد معوض الجزء الأول دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ٠

٦. سنن الترمذي / للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سـورة الترمـذي ٢٠٩- ٢٧٩هـ ، تحقيق أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ط، دار الفكر للطباعة : لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٧. السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ه تحقيق مصطفى عبـد الواحد الجزء الأول ١٣٩٦ ه - ١٩٧١ م دار المعرفة

٨. سيرة ابن هشام تحقيق مصطفي السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥ هـ

٩. شرح النووي على صحيح مسلم المسمى بالمنهاج / للإمام يحيى الدين بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي ، حقق أصوله وخرج

أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف /الشيخ محمد خليل شيحا ، ط، الثالثة ، بيروت : لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٠. صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المتوفى ٢٥٦هـ ، تحقيق / عبد الرؤوف سعد ، ط . مكتبة الإيمان : المنصورة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

١١. صحيح مسلم / للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي : بيروت .

١٢. طبقات الكبرى لأبن سعد ، ٨ أجزاء ، ط دار بيروت ودار صادر، بيروت - ١٩٥٨ م

١٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس دار المعرفة بيروت

١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري / لشيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة : بيروت ، ١٣٧٩هـ .

١٥. لسان العرب / للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، المتوفى سنة ٧١١هـ ، ط. الأولى ، دار المعارف - دار صادر : القاهرة - بيروت.

١٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ،عبد الرحمن بن قاسم، ط إدارة المساحة العسكرية القاهرة ١٤٠٤ه

١٧. مختار الصحاح الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ط . دار المعارف المصرية.

١٨. المخصص لأبي لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده ، دارالفكر ، بيروت

١٩. المستدرك، للحاكم النيسابوري، ط . حيدر أباد الدكن بالهند - ١٣٤١ هـ

٢٠. مسند أحمد / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المتوفى ٢٤١هـ ، ط. مؤسسة قرطبة – وله طبعة أخرى ، شرح وفهرسة : أحمد محمد شاكر .الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي : مصر ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٢١. المصنف عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني ٠ ت ٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، منشورات المجلس العلمي ، المكتب الإسلامي بيروت ط ١ ١٣٩٢ هـ ٠

٢٢. النهاية في غريب الحديث والأثر / للإمام مجدي الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير المتوفى ٦٠٦هـ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية : بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

ثانياً :المصادر الحديثة :

٢٣. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي

٢٤. أسس الدعوة وآداب الدعاة د/ محمد السيد الوكيل ،ط، ٣ – ١٤١٢هـ١٩٩١م ، دار الوفاء، مصر.

٢٥. خاتم النبيين العهد المكي الشيخ محمد أبو زهرة مسسة دار العلوم الدوحة سنة ١٤٠٠ هـ

٢٦. دراسة في السيرة النبوية، د. عماد الدين خليل، دار النفائس بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٧. الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ،د/ أحمد غلوش ، ط، ٢ـ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، دار الكتاب المصري ، القاهرة.

٢٨. الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ط ٠ دار الحديث القاهرة٠

٢٩. السيرة النبوية الصحيحة د / أكرم ضياء العمري ط ٠ مكتبة أضواء البيان الطبعة الخامسة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٣ م

٣٠. السيرة النبوية دروس وعبر/ الدكتور مصطفى السباعي ، المكتب

الإسلامي بيروت ، لبنان الطبعة التاسعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٣١. السيرة النبوية عرض دقائق وتحليل أحداث د / علي محمد محمد الصلابي ط٠ دار المنار الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م

٣٢. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية الدكتور مهدي رزق الله أحمد ط٠ دار إمام الدعوة - الرياض ..

٣٣. عثرات وسقطات في كتاب المنهج الحركي للسيرة النبوية زهير سالم دار عمار ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ

٣٤. صفة الغرباء الأولون ، سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، المملكة العربية السعودية. .

٣٥. فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ط ٠ دار السلام القاهرة

٣٦. فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي الطبعة الرابعة ١٩٨٩ م دار القلم ، دمشق سوريا

٣٧. المدخل إلى علم الدعوة د/ محمد أبو الفتح البيانوني ،ط،٢ ١٤١٤هـ١٩٩٣م،مؤسسة الرسالة ،بيروت.

٣٨. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية

٣٩. من معين السيرة. صالح احمد الشامي المكتب الإسلامي بيروت ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ٠

٤٠. المنهج الحركي للسيرة النبوية الدكتور منير الغضبان ، مكتبة المنار ، الأدن ط١، ١٤٠٤ هـ

٤١. هداية المرشدين الشيخ / على محفوظ ، ط، ٩-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ،دار الاعتصام